٤٠ مجلس

في صحبة الحبيب ﷺ

سيرته – أخلاقه – شمائله

د.عادل بن علي الشدي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
المشارك بجامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أكرمنا بمبعث محمد بن عبد الله ﷺ علماً ومربِّيًا وموجهًا ومرشدًا فقال عز من قائل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأزكاهم نبينا محمد قدوة العاملين وإمام المتقين وخاتم الأنبياء والمرسلين ورحمة الله للعالمين، اختاره الله عزَّ وجلَّ واصطفاه ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ و ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأرسله ﴿شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ وكتب العزة والسعادة والفخار لمن سلك سبيله، والذلة والشقاء والصغار على من خالف أمره فصلوات ربي وسلامه عليه ما ذكره الذاكرون الأبرار وما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد: فمن المعلوم أنه لا مجلس أشرف من مجلس النبي ﷺ ولئن ذهب الصحابة رضوان الله عنهم بشرف مجالسته في الدنيا والنهل من تعليمه وتوجيهه وتربيته فإن الله تبارك وتعالى قد يسر لنا

برحمته وكرمه سبيلاً إلى تدارس سيرته وسنته وهديه ومعالم شخصيته عليه الصلاة والسلام التي تميزت بكمال الرحمة والسماحة والنبل والكرم والخلق الكريم.

ولقد كانت تراودني منذ فترة طويلة فكرة كتابة مجالس مختصرة وميسرة تقرِّب للمسلم سيرته وهديه وجوانب القدوة في حياته ﷺ لتكون معينة له على تحقيق قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وقوله سبحانه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾.

وقد حرصت على عدم إثقال هذه المجالس بالحواشي التي قد تصرف القارئ عن بعض مقاصده، كما حرصت على ضبط الكلمات بالشكل وكبر حجم حرف الكتابة تيسيرًا على إمام المسجد الراغب في قراءة هذه المجالس على المصلين، وعلى المعلم الذي يرغب في قراءة شيءٍ من مجالس هذا الكتاب على طلابه.

ولا يفوتني أن أشكر كل من أسهم معي بفكرة أو جهد حتى خرج الكتاب بهذه الصورة وأخص منهم أخي الأستاذ/ خالد أبو صالح على جهده الكبير في جمع المادة العلمية وترتيبها، والأستاذ/ محمد الطايع على جهده في التصحيح والمراجعة،

والأستاذ/ إمام عرفة صاحب مطبعة الفسطاط على جهده في الإخراج الطباعي وتعاونه في سبيل تخفيض سعر الكتاب لخدمة الراغبين في التوزيع الخيري.

وإني لأرجو من كل من اطلع على هذه المجالس أن لا ينسى أخاه من دعوة بظهر الغيب وأن يتواصل معي بإبداء الملاحظات والتعليقات على **البريد الإلكتروني**:

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يوفقنا جميعًا للقيام بحق نبينا ﷺ وأن يجعلنا منخدّام سنته وهديه الشريف وأن يزيدنا شرفًا ورفعة في الدنيا والآخرة بالاقتداء بنبيّه ﷺ كما أسأله سبحانه أن يرزقنا جميعًا صحبة نبيه ﷺ في الجنة وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عادل بن علي الشدِّي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة الملك سعود
وخطيب جامع سكن وزارة الخارجية بالرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المجْلِسَ الأوِل

مِنْ حُقُوقِ المصْطَفَى ﷺ (١)

لَقَدْ أَكْرَمَنا الله تبارَكَ وَتَعَالى بِبَعْثَةِ النَّبِيِّ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِسُنَّتِهِ وَشَرِيعَتِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وَإِنَّ لِرَسُولِنَا ﷺ حُقُوقًا كَثِيرَةً، يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَدَاؤُهَا وَالحِفَاظُ عَلَيْهَا، وَالحَذَرُ مِنْ تَضْيِيعِهَا أَوِ التَّهَاوُنِ بِهَا.

وَمِنْ هَذِهِ الحُقُوقِ:

أولا: الإيمان به ﷺ:

إِنَّ أَوَّلَ مَحَقُوقٍ الْعَبْدِ الْإِيمَانُ بِهِ، التَّصْدِيقُ بِرِسَالَتِهِ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِنْ آمَنَ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ جَاؤُوا قَبْلَهُ.

وَالْقُرْآنُ مَلِيءٌ بِالْآيَاتِ الَّتِي تَأْمُرُ بِالْإِيمَانِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَدَمِ الشَّكِّ فِي رِسَالَتِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا﴾ [التغابن: ٨].

وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥].

وَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْكُفْرَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ سَبَبُ الْهَلَاكِ وَالْعِقَابِ الْأَلِيمِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾

[الأنفال: ١٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

ثانيا: اتباعه ﷺ:

هُوَ الْبَوَّابُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مِنْ خِلَالِهِ ﷺ، فَمَنِ ادَّعَى الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَلَا يَمْتَثِلُ لِأَمْرِهِ ﷺ، وَلَا يَنْتَهِي عَنْ مَحَارِمِهِ ﷺ، وَلَا يَتَّبِعُ سُنَّةً مِنْ سُنَنِهِ ﷺ كَاذِبٌ فِي دَعْوَى الْإِيمَانِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ هُوَ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا أَنَّ تَنَالَ رَحْمَتَهُ إِلَّا أَهْلُ الِاتِّبَاعِ وَالِانْقِيَادِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا

لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

وكذلك فإن الله تعالى توعد المعرضين عن هدي رسول الله ﷺ المخالفين له بالعذاب الأليم فقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

وقد أمر الله تعالى بالتسليم لحكم رسول الله ﷺ وانشراح الصدر لحكمه فقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

ثالثا: محبته ﷺ:

وَمِنْ حُقُوقِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ كُلِّهَا: الحُبُّ وَأَكْمَلُهُ وَأَعْظَمُهُ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" [متفق عليه].

فَأَيُّ إِنْسَانٍ لَا يُحِبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَإِنْ تَسَمَّى بِأَسْمَاءِ المُسْلِمِينَ وَعَاشَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ.

وَأَعْظَمُ الحُبِّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَنْفُسِنَا وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لِأَنْفُسِنَا، فَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ" فَقَالَ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الآنَ يَا عُمَرُ" [رواه البخاري].

رابعا: الانتصار له ﷺ :

وَهُوَ مَنْ لَاكَ حُقُوقَهُ ﷺ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَفِي حَيَاتِهِ قَدْ قَامَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ الْمُهِمَّ خَيْرَ قِيَامٍ.

وَأَمَّا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فَالْوَاجِبُ يَكُونُ عَلَى السُّنَّةِ إِذَا تَعَرَّضَتْ لِطَعْنِ الطَّاعِنِينَ وَتَحْرِيفِ الْجَاهِلِينَ وَتَأْوِيلِ الْمُبْطِلِينَ.

وَيَكُونُ الذَّبُّ كَذَلِكَ عَنْ شَخْصِهِ الْكَرِيمِ إِذَا تَنَاوَلَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ وَلَوْ نَفْسُهُ بِخُرُوجٍ قَافٍ لَا تَلِيقُ بِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ ﷺ.

وَقَدْ كَفَيْتُمُونَا الْحَصَلَاتِ - التَّشْوِيهَ الَّتِي يَطْعَنُونَ بِهَا عَلَى نَبِيِّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَئِمَّةَ ﷺ كُلِّهَا أَنْ تَهُبَّ لِلدِّفَاعِ عَنْ نَبِيِّهَا ﷺ مَا تَمْلِكُ مِنْ وَسَائِلَ قُوَّةٍ وَأَدَوَاتِ ضَغْطٍ، حَتَّى يَكُفَّ هَؤُلَاءِ عَنْ كَذِبِهِمْ وَبُهْتَانِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ.

المجْلِسَ الثَّانِي

مِنْ حُقُوقِ المصْطَفَى ﷺ (٢)

لا َ ال َ الحديث ُ مَوصُولاً عَن حُقُوقِ النَّبِيِّ ﷺ َ أَنَّهُ :

خامسا: نشر دعوته ﷺ:

إ نَّ م ِ ن َ الو َ فَاء ل ِ رسُولِ نَقُولُ ﷺ نَشر ْ الإ ْ س ْ لام ِ و َ تَبْل ِ يغ ِ الدَّعْوة ِ في كَافَّة أَص ْ قَاع ِ الأ ْ ر ْ ض ِ فَقَدْ قَال َ النبي ُّ ﷺ: "**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**" [رواه البخاري] وَعَلَيْه الصَّلا َ ة ُ و َ السَّلا َ م ُ "**يَهْدِي اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**" [متفق عليه].

و َ أَخْبَر ﷺ أَنَّه: "**مَا تَكَرَّرَ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ**" [رواه أحمد وأصحاب السنن].

و َ م ِ ن ْ أَس ْ بَاب كَثْر َ ة الأ ِ يذَاء لَهَا: بالدَّعْو َ ة إ لى َ الله، و َ دُخول ُ النَّاس ِ في الإ ْ س ْ لا َ م ِ، و َ قَدْ بين َّ اللهُ تَعَالى َ أَنَّ الدَّعْوَةَ إ لَيْه ِ ه ِ ي َ و َ ظ ِ يفَةُ الرُّس ُ ل ِ و َ أَتْبَاع ِ ه ِ م ْ فَقَال َ : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ

إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فَعَلَى الأُمَّة أَنْ تَتَمَسَّكَ بِوَظِيفَتِها الَّتِي أَخْرَجَهَا اللهُ لأَجْلِها، وَهِيَ الدَّعْوَةُ وَالْبَلاغُ وَالأمرُ بِالمعْروف النَّهْيُ عَنِ المنْكَرِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

سادسا: توقيره ﷺ حيا وميتا:

وَهُوَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ الَّتِي فَرَّطَ فِيها كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، قَالَ تَعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٨-٩].

قَالَ ابْنُ سَعْدِيٍّ: الرَّسُولُ وَتُوَقِّرُوه، أَيْ تُعَظِّمُوه، وَتَجِلُّوه، وَتَقومُوا بِحُقُوقِه، كَما كَانتْ لَه المنَّةُ

الْعَظِيمةُ فِي رِقَابِكُمْ".

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يُعَظِّمُونه وَيُوقِّرُونَهُ وَيُجِلُّونَه إِجْلاَلاً عَظِيماً، فَقَدْ كَانَ إِذَا تكلَّم أَطْرَقُوا لَهُ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ لِمَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَلِّمْنِي كَأَخِي السِّرَارِ.

وَأَمَّا تَوقِيرُهُ ﷺ فَيَكُونُ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِه، وتعظيم أَمْرِه، وَقَبُولِ حُكْمِه، وَالتَّأَدُّبِ مَعَ كَلاَمِه، وَعَدَمِ مُخَالَفَةِ حَدِيثِه لِرَأْيٍ أَوْ قِيَاسٍ أَوْ ذَوْقٍ أَوْ شَافِعِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ بَلْ جَمِيعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنِ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ

لَه أَنْ يَدَعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ .

سابعًا: الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر:

فَقَدْ أَمَرَ اللهُ المؤْمِنِينَ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقَالَ ﷺ: "ثُمَّ أَقْبَلَ رَجُلٌ فَذَكَرَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ" [رواه مسلم].

وَقَالَ ﷺ: "إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ، أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً" [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

وَقَالَ ﷺ: "البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ" [رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني].

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ المسْلِمُ ذِكْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ يَبْخَلُ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ. وَقَدْ ذَكَرَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ ذِكْرًا مِنْ

فَقَدَ الصلاةَ على النبيِّ ﷺ خطأ الأولى فهو كالصلاةِ والسلامِ على غيرِ الأنام فليراجعْ.

ثامنا: موالاة أوليائه وبغض أعدائه ﷺ:

فقد قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومن موالاته: أصحابه ومحبتهم برهم، ومعرفة حقهم والثناء عليهم والدعاء لهم بالاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم أو سبهم، أو قدح في ذلك محبتهم له وموالاتهم والذب عنهم وترك الغلو فيهم.

ومن ذلك محبة علماء أهل السنة وموالاتهم وترك

انْتِقَاصِهِمْ وَالْخَوْضِ فِي أَعْرَاضِهِمْ.

وَمِنْ مُوالاةِ الْغُبَّادِ أَعْدَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلالِ.

قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ لأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ: أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ؟، فَوَلَّى يَشْعَنْهُ وَبِأَصَابِعِهِ نَفْسِهِ: كَلِمَةً؛ تَعْظِيماً لِلسُّنَّةِ وَالنَّبِيِّ ﷺ لأَعْدَائِهَا.

المجْلِسَ الثَّالث

هَدْيُ النبيِّ ﷺ فِي رَمضانَ (١)

قَالَ الإمامُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

وكَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ أَكْمَلَ الْهَدْيِ، وأَعْظَمَ تَحْصِيلٍ لِلْمَقْصُودِ، وأَسْهَلَهُ عَلَى النُّفُوسِ.

وكَانَ رَفْضُهُ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وفِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَصَدَ مَكَّةَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ.

وعَرَضَ أَوَّلًا عَلَى وَجْهِ التَّخْيِيرِ بَيْنَ مَنْ أَنْ يُطْعِمَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا، ثُمَّ نُقِلَ مِنْ ذَلِكَ التَّخْيِيرِ إِلَى تَحَتُّمِ الصَّوْمِ.

وجُعِلَ الإِطْعَامُ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ والْمَرْأَةِ إِذَا لَمْ يُطِيقَا

الصيام، فإنه يطفئ ما يطفئ النار ويعطي عن اليوم مسكينًا.

ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا وقتيا؛ وللحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما كذلك، فإن خافتا على ولديهما زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم، فإن فعلهما لم يكن لخوف مرض، وإنما كان مع الصحة، فجوز بإطعام المسكين فذكط الصحيح في الإسلام.

الإكثار من أنواع العبادة:

وأكرم من هديه ﷺ شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادة، فكان جبريل -عليه السلام- يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان؛ يكثر فيه من الصدقة والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة،

والذكر الآخر تعافك .

وكان الشيخ رحمه الله يبدأ شهر رمضان من عام بداية الشيخوخة به يبرغ هو من الشهور ، حتى إنه كان ليصل فيه أحيانًا، يوقف سلك الليل ونهاره على عمال بغداد .

وكان ينهى أصحابه عن الوصال ، فيقولون له إنك تواصل ، فيقول : لست كهيئتكم، إني أبيت "وفي رواية : إني أظل يطعمني ربي ويسقين" [متفق عليه].

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة للأمة ، وذاق فيه إلى السحر .

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي ﷺ يقول : "لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل ،

وفيه: "السحور" فهذا أعلى الوصال وأسهله على الصائم، وهو في الحقيقة بمنزلة عشائه، إلا أنه تأخر، فالصائم له في اليوم والليلة أكلة، فإن أكل في السحور كان قد تعشى من أول الليل إلى آخره".

هديه ﷺ في ثبوت الشهر:

وكان من هديه ﷺ أن لا يدخل في صوم إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد واحد، كما صام بشهادة ابن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي، واعتمد على بعضها، ولم يكلفهما لفظ الشهادة، إذ لو كان ذلك إخبارًا فقد اكتفى في رمضان بمخبر الواحد، وإن كان شهادة، فلم يكلف الشاهد لفظ الشهادة، إذ لو لم تكن رؤية ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا.

وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحابة، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا، ثم صام.

ولم يكن يصوم يوم الغيم إلا أن يأمر به، بل أمر بأن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غم، وكان يفعل ذلك، فهذا فعله، وهذا أمره، لا يقين هذا قوله: "إن غم عليكم فاقدروا له" [متفق عليه].

فالمقدر وهو الحاسب المقدر والمراد إكمال عدة الشهر إذا غم، كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: "فأكملوا عدة شعبان".

هديه في الخروج من الشهر:

وأركان هديه ﷺ في أمر الناس بالصوم بشهادة الرجل الواحد المسلم وخروجهم لرؤية هلال شوال بشهادة اثنين.

وكان من هديه إذا شهد الشاهدان برؤية الهلال بعد خروج وقت العيد أن يفطر، ويأمرهم بالفطر، ويصلي العيد من الغد في وقتها.

المجلس الرابع

هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَمَضَانَ(٢)

قَالَ الإمامُ ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:

وكان ﷺ يُعَجِّلُ الفطرَ ويحضُّ عليه، ويتسحَّرُ، ويحثُّ على السُّحور، ويؤخِّرُه، ويرغِّبُ في تأخيرِه.

وكان يفطرُ على الرُّطَبِ، فإن لم يجد حسا حسواتٍ من ماءٍ، وكان من هديه أن يفطرَ قبل أن يصلي على تمرٍ، فإن لم يجد حسا حسواتٍ من ماءٍ، وكان من هديه أن يفطرَ قبل أن يصلي على شيءٍ من الحلوى مع خلوٍّ من اللبن قد أُدْعِيَ إلى وقبله، وتنافع القوى به، ولاسيما القوة الباصرة، فإنها تقوى به.

وكان يأكلُ الهديةَ قبل أن يُسْأَلَ، ويمرُّ بالمأكولِ عليه، وهو عندهم ويتناولُ منه، ورطبُه فاكهةٌ.

وأما الماءُ فإن الكبدَ تحصلُ له بالصومِ نوعُ يبسٍ، فإذا

رُطِّبَ بِالْمَاءِ ، كَمُلَتْ انْفِعَالُهَا بِالْغِذَاءِ بَعْدَهُ، وَلِهَذَا كَانَ الْأَوْلَى بِالظَّمْآنِ الْجَائِعِ أَنْ يَبْدَأَ بِالْأَكْلِ بَعْدَ شُرْبِهِ بِلُقْمَةٍ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَأْكُلُ بَعْدَهُ .

هَذَا مَعَ مَا فِي التَّمْرِ وَالْمَاءِ مِنَ الْخَصِّيصَةِ الَّتِي لَهَا تَأْثِيرٌ فِي صَلَاحِ الْقَلْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْأَطِبَّاءُ الْقُلُوبِ .

مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي فِطْرِهِ

- وَكَانَ ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ .

- وَكَانَ فِي طِلَّةِ رُطَبَاتٍ فَإِنْ وَجَدَهَا فَعَلَى تَمَرَاتٍ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ .

- وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ: **"ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى"** [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ].

ويُذْكَرُ عَنْه ﷺ: **"إِنَّ الصلاةَ عِنْدَ وَقْتِهَا دَعْوَةٌ مَا رُدَّتْ"** [رَواه ابْنُ مَاجَه].

وصَحَّ عَنْ أَنَسٍ: **"إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ"** [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

فُسِّرَ بِأَنَّهُ قَدْ أَفْطَرَ حُكْمًا، وإِنْ لَمْ يَنْوِ، وبِأَنَّه قَدْ دَخَلَ وَقْتُ فِطْرِه، كَأَصْبَحَ وأَمْسَى.

آدَابُ الصَّائِم

ونَهَى ﷺ الصائِمَ عَنِ الرَّفَثِ الصَّاخِبِ، والسِّبَابِ، وجَوَابِ السِّبَابِ، فَمَرَّةً أَنْ يَقُولَ لِمَنْ سَابَّه: **"إِنِّي صَائِمٌ"** [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

قِيلَ: يَقُولُ بِلِسَانِه وهُوَ أَظْهَرُ.

قِيلَ: بِتَقَبُّلِ ؛ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِالصَّوْمِ.

قِيلَ: يَقُولُ الْفَرْضِ بِلِسَانِهِ، فِي التَّطَوُّعِ سَفَرِهِ، لأَنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ.

هَدْيُه ﷺ فِي السَّفَرِ فِي رَمَضَانَ

وَسَافَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَمَضَانَ، فَصَامَ وَأَفْطَرَ، وَخَيَّرَ الصَّحَابَةَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ.

وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِالْفِطْرِ إِذَا دَنَوْا مِنْ عَدُوِّهِمْ لِيَتَقَوَّوْا عَلَى قِتَالِهِ.

وَأَمَّا إِذَا تَجَرَّدَ السَّفَرُ عَنِ الْجِهَادِ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي الْفِطْرِ هِيَ رُخْصَةٌ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ.

وسلم في رسول الله ﷺ أعظم الغزوات وأجلها في: غزوة بدر في العشر الأول من شهر رمضان.

ولم يكن من هدي النبي ﷺ تقدير مسافة السفر التي يقصر فيها الصلاة بحد، ولا صح في ذلك شيء.

وكان الصحابة ينشئون السفر ويقصرون في غير ما موضع مجاورة البيت ويخبرون أن ذلك سنة وهدي النبي ﷺ، قال عبيد بن جبر: كنت بمصر في غزاة فكان يصلي ركعتين ركعتين، فقلت له: متى تقصر؟ فقال: سافرت مع رسول الله ﷺ في السفن من الفسطاط في رمضان، فلم يزل يقصر حتى رجعنا. قلت: أكنتم تخافون؟ قال: لا. رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني. وقال أبو عبد الله: أرتجي أن يكون حديث عبيد بن جبر عن النبي ﷺ؟. [رواه أحمد وأبوداود].

وقال محمد بن كعب: أتيت عمران بن حصين في رمضان، وهو يريد سفرًا وقد رحل له راحلته وقد لبس ثياب

السَّفَرِ ، فَدَعَا بِطَعَامٍ فَأَكَلَ ، فَقُلْتُ لَهُ سُنَّةً؟ قَالَ سُنَّةٌ . ثُمَّ رَكِبَ .

قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ حَسَنٌ .

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ أَنَّ مَنْ أَنْشَأَ السَّفَرَ فِي أَثْنَاءِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ ، فَلَهُ فِطْرُهُ .

المجْلِسَ الخامس

هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَمضَانَ (٣)

وكَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ أَنْ يُدْرِكَهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَيَغْتَسِلُ بَعْدَ الْفَجْرِ -أَيْ بَعْدَ الأَذَانِ- وَيَصُومُ.

وكَانَ يَقَبِّلُ بَعْضَ أَزْوَاجِهِ وَهُوَ صَائِمٌ فِي رَمَضَانَ[1]، وَشَبَّهَ لَثْمَ الصَّائِمِ بِلَثْمِ الْمَضْمَضَةِ بِالْمَاءِ.

هَدْيُهُ ﷺ فِيمَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا

وكَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ إِسْقَاطُ الْقَضَاءِ عَمَّنْ أَكَلَ وَشَرِبَ نَاسِيًا، وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي أَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ، فَلَيْسَ هَذَا

(١) وَهُوَ أَمْلَكُ لِلْقُبْلَةِ لِلصَّائِمِ إِذَا كَانَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ.

الأَكْلُ وَالشُّرْبُ ضِدَّانِ فَيُفْطِرُ بِهِ، إِذْ إِنَّمَا يُفْطِرُ بِمَا فَعَلَهُ، وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ فِي الْوُضُوءِ، إِلَّا أَنَّ الْكَلَامَ فِي الْوُضُوءِ أَغْلَبُ عَلَى النَّاسِ.

مُفْطِرَاتُ الصَّائِمِ

وَلِذَلِكَ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّ الَّذِي يُفْطِرُ بِهِ الصَّائِمَ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ، وَالْجِمَاعُ وَالْقَيْءُ.

وَالْقُرْآنُ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْجِمَاعَ مُفَطِّرٌ، وَالْأَكْلَ وَالشُّرْبَ، لَا يُعْرَفُ فِيهِ خِلَافٌ، وَلَا صَحَّ عَنْهُ فِي الْقَيْءِ شَيْءٌ وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ.

---

(١) يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ يُشْبِهُهُمَا كَالْإِبَرِ اللَّغَوِيَّةِ.

- وَذَكَرَ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَصُبُّ المَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ صَائِمٌ .
- وَكَانَ يَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ وَهُوَ صَائِمٌ وَمَعْنَى الصَّائِمِ عَنِ المُبَالَغَةِ فِي الاسْتِنْشَاقِ .
- وَالصَّحِيحُ عَنْهُ أَنَّهُ احْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ ، قَالَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ .
- وَالصَّحِيحُ عَنْهُ أَنَّهُ نَهَى عَنِ السِّوَاكِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ لا فِي آخِرِهِ .

هَدْيُه ﷺ فِي الاعْتِكَافِ

كَانَ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرُبَّمَا اعْتَكَفَ مَرَّةً فِي شَوَّالٍ .

وَاعْتَكَفَ مَرَّةً العَشْرَ الأُوَلَ ، ثُمَّ الأَوْسَطَ ، ثُمَّ العَشْرَ الأَخِيرَ ، يَلْتَمِسُ لَيْلَةَ القَدْرِ ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ ، فَدَاوَمَ عَلَى اعْتِكَافِهِ حَتَّى لَحِقَ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

- وكان يأمر بخباء يضرب فيه بقبلي المسجد يخلو فيه بربه عز وجل.

- وكان إذا أراد الاعتكاف صلى الفجر ثم دخله.

- وكان ﷺ يعتكف كل سنة عشرة أيام، فلما كان في العام الذي قبض فيه، اعتكف عشرين يومًا.

- وكان يعرض عليه جبريل القرآن كل سنة مرة، فلما كان ذلك العام الذي قبض فيه عرضه به مرتين.

- وكان يحدث على القبة أبنية في كل سنة مرة، فحدث عليه في تلك السنة مرتين.

- وكان ﷺ إذا اعتكف دخل قبته وحده.

- وكان لا يدخل بيته إلا لحاجة الإنسان.

-وكان يخرج رأسه من المسجد إلى بيت عائشة فترفل له، وتغسل له وهو في المسجد، وهي حائض.

-وكان يضع أزواجه شعورهن وهو معتكف، إن كانت لتقوم فتذهب، فيقوم معها يقلبها، وكان ذلك ليلاً.

-وكان لا يمشي إلى المرحاض وهو معتكف إلا بقبلة لا يرغب عنها.

-وكان إذا اعتكف طرح له فراشه وظهر عليه سريره في معتكفه.

-وكان إذا خرج لحاجته مر بالمريض وهو على طريقه فلا يعرج عليه ولا يسأل عنه.

-واعتكف عشرين في قبة تركية وجعل على بابها حصيرًا؛ كل

لذلك تجد قليلاً لمقصود الا تعاف كوحده، عكس ما يفعله الجهلة من اتخاذ المعفتكة ضحكة، ومجلبة للوزر، وأخذهم بأطراف الحديث بينهم، فهذا لون الا تعكف الزي لون آخر والله الموفق.

المجْلِسَ السادِّسَ

فِي ذِكْرِ النَّسَبِ الشَّرِيفِ وَطَهَارَةِ أَصْلِهِ ﷺ

نسبه ﷺ:

هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

هَذَا هُوَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ فِي نَسَبِهِ ﷺ.

وَاتَّفَقُوا أَيْضًا عَلَى أَنَّ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أسماؤه ﷺ:

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ" [متفق عليه].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: "أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ" [رواه مسلم].

طهارة أصله ﷺ:

وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ إِذْ إِنَّهُ ﷺ اصْطَفَاهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَسُلَالَةِ قُرَيْشٍ، فَهُمْ أَشْرَفُ الْعَرَبِ نَسَبًا، وَهُمْ مِنْ مَكَّةَ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ تَعَالَى قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ

حَيْثُ تَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ نَهْيٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَخْشَوْا النَّاسَ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ اللَّهِ، وَأَنْ يَخْشَوْهُ وَحْدَهُ، وَلِذَلِكَ حَسُنَ بَعْدَهُ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ آلِهَةِ الْكُفَّارِ؛ لِئَلَّا يَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَهُوَ مِنْ بَابِ النَّهْيِ عَنِ الشَّيْءِ لِلنَّهْيِ عَنْ لَازِمِهِ، فَإِنَّ لَازِمَ سَبِّ آلِهَةِ الْكُفَّارِ: سَبُّ اللَّهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالنَّهْيِ. [متفق عليه].

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» [رواه مسلم].

وَمَنْ طَهَّرَ سَبَّهُ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ صَانَ لَهُ دِينَهُ مِنْ

قَوْلُهُ: "الزِّنَا، فَقَدْ نَكَحَ نِكَاحًا صَحِيحًا وَلَمْ يُولَدْ نِكَاحٌ[1]، وَقَالَ ﷺ: "خَرَجْتُمْ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ تَخْرُجُوا مِنْ نِكَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلِيَ أَبِي وَأُمِّي، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ نِكَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ" [رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني].

وَقَالَ ﷺ: "خَرَجْتُمْ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلِيَ أَبِي وَأُمِّي، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ نِكَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ"

[رواه ابن سعد وحسنه الألباني].

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ الْكَلْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كَتَبَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِائَةُ أُمٍّ مِمَّا وَجَدْنَهُنَّ سِفَاحًا، لَا شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ.

قَوْلُهُ: "مِائَةُ أُمٍّ": يُرِيدُ الْجَنَّةَ وَجَنَّةَ الْجَنَّةِ

---

(١) السِّفَاحُ: الزِّنَا.

مِنْ قِبَلِ أبيه وأُمِّه.

قَالَ الظَّالِمُ:

مِنْ عَهْدِ آدَمَ لَمْ تَحْمِ لَهُ
فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ الْأَرْحَامُ
حَتَّى تَقَلَّدَ فِي نِكَاحٍ طَاهِرٍ
مَا لَمْ تُضَمَّخْ مِنْهُ فِيهِ حَرَامُ
فَبَدَا كَبَدْرِ التِّمِّ لَيْلَةَ وَضْعِهِ
مَا شَانَهُ مَطْلَعَ الظُّبَى قَتَمُ
فَلَجَابَهُ الظَّالِمُ: إِنْ أَوَى
وَالزُّنُّ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ لَاَمُ
شُكْرًا لِمُهْدِيهِ إِلَيْنَا نِعْمَةً
لَيْسَتْ يُطِيقُ شُكْرَهَا الْأَوْهَامُ

المجلس السابع

صدقه ﷺ وأمانته

اشتهر النبي ﷺ قبل البعثة به بالصدق والأمانة، وكان يعرف بينهما بالأمين، وهو لقب لا يسمى به إلا من بلغ الغاية في الصدق والأمانة مع خصاله الأخر.

وقد شهد له أعداؤه بذلك. فهذا أبو جهل كان مع بغضه للنبي ﷺ وتكذيبه له يعلم أن الصدق، ولذلك لما سأله رجل: هل محمد صادق أم كاذب؟ قال له: ويحك! والله إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية، والحجابة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟!

وهذا أبو سفيان ولكان أقرب إسلامه من شدة الناس عداوة للنبي ﷺ سأله هرقل فقال له: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قال أبو سفيان لا.

فقال هرقل فسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا. فقد عرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله.

وهذه خديجة رضي الله عنها لما جاءها النبي ﷺ ترجف وهو يقول: "زملوني دثروني"، وذلك إثر نزول الوحي عليه بالغار، قالت له: أبشر والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث..." [متفق عليه].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: **يا صباحاه**! فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: **أرأيتم إن أخبركم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟**" قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: "**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**" [متفق عليه].

إن صدق النبي ﷺ وأمانته قد جعلا المشركين يتخبطون في الحكم عليه، فمرة يقولون: ساحر، كذاب، ومرة يقولون: شاعر، ومرة يقولون: كاهن، ومرة يقولون: مجنون، وكانوا يلتمسون في ذلك، لأنهم يعلمون جميعًا براءة النبي ﷺ من هذه الأوصاف القبيحة.

فَهَضَمَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ الدَّارِيَّ بِالْفِيلِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِقُرَيْشٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّهُ وَاللهِ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ مَا ابْتُلِيَتْ بِمِثْلِهِ؛ لَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا حَدَثًا، أَرْضَاكُمْ عَقْلًا، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ فِي صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ، وَجَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ قُلْتُمْ سَاحِرٌ لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِسَاحِرٍ وَقُلْتُمْ كَاهِنٌ لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ وَقُلْتُمْ شَاعِرٌ، وَقُلْتُمْ مَجْنُونٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! انْظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ فَإِنَّهُ وَاللهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

وَأَمَّا أَمَانَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهَا كَانَتْ سَبَبًا لِرُجُوعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي رَفْعِهِ إِلَى مَكَانِهِ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ تَقَعُ الْحَرْبُ بَيْنَ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ حَيْثُ كَانَ شَرَفُ وَضْعِهِ فِي مَكَانِهِ قَدْ تَجَاوَزَ بِالشَّامِ وَقَدْ عَصَمَتْهُمْ مِنَ الْحَرْبِ بِهِ أَمَانَتُهُ وَكَرِيمُ أَخْلَاقِهِ ﷺ.

وَمَنْ أَمَّنَهُ ﷺ أَنْكَرُوا عَلَى قُرَيْشٍ -مَعَ كُفْرِهِمْ بِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ- كَانُوا يَضُونُ عِنْدَهُ أَمْوَالَهُمْ، وَيَسْأَلُونَهُ عَلَيْهَا، وَلِمَّا أَذِنَ اللهُ تَعَالَى لَهُ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ يَنَخَلَّفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا فِي مَكَّةَ لِيُؤَدِّيَ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا.

إِنَّ أَعْظَمَ الْأَمَانَاتِ الَّتِي تَحَمَّلَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَدَّاهَا أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ هِيَ أَمَانَةُ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ الَّتِي كَلَّفَهُ اللهُ تَعَالَى بِتَبْلِيغِهَا لِلنَّاسِ، فَبَلَّغَ النَّبِيُّ ﷺ الرِّسَالَةَ أَعْظَمَ الْبَلَاغِ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ أَعْظَمَ الْأَدَاءِ، وَجَاهَدَ أَعْدَاءَ اللهِ تَعَالَى بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، وَالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، فَفَتَحَ اللهُ بِهِ الْفُتُوحَ، وَشَرَحَ لِدَعْوَتِهِ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ، فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَنَصَرُوهُ وَآزَرُوهُ حَتَّى عَلَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، فَلَمْ يَبْقَ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ تَعَالَى هَذَا

الدينَ. صَلواتُ اللهِ وسلامُه علىَ الصادقِ الأمينِ الذي جاهدَ في اللهِ جهادِه حتّى أتاه اليقينُ.

المجْلِسَ الثَّامِنَ

فِي الميثَاقِ وَبُشْرَى الأنْبِيَاءِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨١ - ٨٢].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلَّا أَخَذَ مِيثَاقَهُ لَئِنْ بُعِثَ اللهُ مُحَمَّدًا وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُمَّتِهِ لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ

صلى الله عليه وسلم أنه[1].

وروي عن السدي نحوه.

وقال سبحانه وتعالى حكايةً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

قال ابن كثير: "يقول تعالى إخبارًا عن تمام دعوة إبراهيم عليه السلام هل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم أي من ذرية إبراهيم وقد وقفت على هذه الدعوة المستجابة قول الله السابق في تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولاً في

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٩٣).

الأنبياء مبينين إليهم وإلى سائر الأمم من الإنس والجن كما ورد في الحديث المتفق على صحته عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى لما خلق النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين".

ولم يذكره ﷺ للناس مذكورًا مشهورًا سائرًا، حتى أفصح باسمه خاتم النبيين إذ أنبأ عنه خاتم النبيين عيسى ابن مريم عليه السلام، حيث قفى نبي إسرائيل خطيبًا وقال: ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦] وهذا في هذا الحديث: "دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى ابن

مَرْيم"[1].

وأَمَّا وُرُودُ كَرَامَاتِهِ ﷺ فِي الكُتُبِ المَقَامَةِ، فَلِقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٣).

قَالَ: أَجَلْ وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا. [رواه البخاري].

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَقِيَ الْجَارُودُ بْنُ عَبْدِ اللهِ فَسَلَّمَ وَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ وَجَدْتُ وَصْفَكَ فِي الْإِنْجِيلِ، وَبَشَّرَ بِكَ ابْنُ الْوَلِيَّةِ أَيْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيْسَ أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ. [رواه البخاري ومسلم].

المجْلِسَ التاسِع

نَبِيُّ الرَّحْمَةِ (١)

رحمته ﷺ بأعدائه:

لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ رَحِيمَ الْقَلْبِ بِالْبَرِيَّةِ كُلِّهَا، وَقَدْ وَصَفَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً" [رواه مسلم].

فَكَانَتْ رَحْمَتُهُ ﷺ عَامَّةً شَمِلَتِ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، فَهَا هُوَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ رضي الله عنه يَأْتِي مِنْ هِجْرَتِهِ بِقَبِيلَةِ دَوْسٍ، فَيَذْهَبُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا.

افَمَ ْتَمَلَ الرسَّولُ ﷺالْبلةَ ورَفَعَ يَدَيْ ، أَيَقْنَ المَنَّ ُ بهلاكِ دوَسْإِ ذَا دعَا علَهِم ْرسَولُ ُ الله ﷺوكَلَ نيَّنَّ الرحَّمْ َ ﷺقَ َ : اللهمُ َّاهِ ْ لموَوْائت بهِم ْ "لُ ُقَّ ٌ علَيْ].

دلَعَلهَ ُمْ ابِهِ ايلةَ والَرشَّدَ ، لمَ َ ْ يدَعْ ُ علَهِم بالعلَبَ الاَ ستِ ْصَالَ لأَنَّ َ ُ يدُ للنَّسِ إلاَّخير ْ َ لاَ َ يَجْ ُهَ ُمْ إلاَّ الفَوْزَ وَ الَجَّ َاةَ.

ويَذْهَبُ ُ النَّبيُّ ﷺإلى للغَلَّ لـ دعَوْ َ اقبَلَها إلى َ الإ ْسلاْ َ م، فيُقْبَلَ لهَ ُأَهْلُهَا بالجُحُدُ والَسُّخْ ِيَ الاَ ستِ ْهزْ َ ، ويَغْزُوا به سُفهَاءَ همُضْرفيَ ْ بُولبُجِ جاوَ َ حَتَّسيَيل َ اللمَّ ُنْ قعَبَيْ ﷺ.

ورَقَوْ ِي ائعَ شقيُرَ اللهُ عَفْاَ مَ احلَتَ بَعْدَ لكَ

فَقُلْتُ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ -وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي اللهُ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ". فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ

اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [متفق عليه].

إنها الرحمة التي يتألق جمالها النبي ﷺ يسعى جراحه تالية ويقلبه كلمات، وفؤاده المكلوم، لا يتذكر سوى إيصال الخير لهؤلاء الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

ويفتح النبي ﷺ مكة ويدخلها في عشرة آلاف مقاتل، ويحكمه الله عز وجل في رقاب من آذوه وطردوه وتآمروا على قتله، وأخرجوه من بلده، وقتلوا أصحابه وفتنوهم في دينهم.

فيقول أحد الصحابة وقد تم هذا الفتح الأعظم "اليوم يوم الملحمة" فيقول النبي ﷺ: "بل اليوم يوم المرحمة".

ثُمَّ يَخْرُجُ النَّبِيُّ ﷺ إلى هؤلاءِ المهزومين وقد شخصت أبصارهم وجفت قلوبهم وجفت حلوقهم، يظنون ماذا سيفعل بهم هذا القطر المنتقم، وهم الذين اعتادوا على الغدر والانتقام والتمثيل بقتلى المسلمين فماذا في أحد يرعاهم.

فقال لهم النبي ﷺ: "يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟".

قالوا خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال لهم النبي ﷺ: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" فانطلقوا كأنما نشروا من القبور.

فهذا العفو الشامل نتيجة الرحمة التي في قلب النبي ﷺ،

وتَالَّي عظُمتَ ْ لشَمْ َل أكْثَ َأعلْه َ إيذاء ً لهَ ولأصـْحابَ ه،فلَلاَ َ نهَ الرحمةُ لما حدَثَ َ هَ َذا العَفْوُ، وصَ َقَ َ رسَولُ ُ الله ﷺ ذْ يقَُ ول: **إِنِّيَّ أَنَ ذَرَجَ ْتَمُهُدْ َاةٌ"**ر[وَ َاه الحاكم].

المجْلِسَ العَاشِرَ

نَبِيُّ الرَّحْمَةِ (٢)

رحمته ﷺ بالحيوان والجماد:

ذَكَرْنَا أَنَّ الرحمةَ النَّبويَّةَ اتَّسعَتْ لتشملَ الكائناتِ ظلاً عن المسلمِ الموحِّدِ، ونَزيدُ هُنا أَنَّ رحمةَ النَّبيِّ ﷺ امتدَّتْ لتشملَ الحيوانَ والجمادَ، فقدْ قالَ النَّبيُّ ﷺ: "بَيْنَا رجلٌ بطريقٍ، اشتدَّ عليْهِ العَطَشُ، فوجدَ بئراً، فنزلَ فيها فشربَ، ثمَّ خرجَ، فإذا كلبٌ يلهثُ، يأكلُ الثَّرى منَ العطشِ. فقالَ الرَّجلُ: لقدْ بلغَ هذا الكلبَ منَ العطشِ مثلُ الذي كانَ بلغَ منِّي، فنزلَ البئرَ، فملأَ خفَّهُ ماءً، ثمَّ أمسكَهُ بفيهِ حتَّى رقيَ، فسقى الكلبَ، فشكرَ اللهُ لهُ، فغفرَ لهُ" قالُوا: يا رسولَ اللهِ! وإنَّ لنا في هذهِ البهائمِ لأجراً؟

فقال ﷺ في "كل ذي كبد رطبة أجر" [متفق عليه].

بهذه القاعدة العامة في "كل ذي كبد رطبة أجر" سبق النبي ﷺ جميع الملل والهيئات الذي تعنى بالدفاع عن حقوق الحيوان والرفق به سبقها النبي ﷺ بمئات السنين يوم قال: "بينما امرأة قد سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض" [متفق عليه].

والنبي ﷺ يقر بهذا القاعدة العظيم أصحابه الرفق بالحيوان الإحسان إليه، بين لهم أن تتقي الحيوان الغرغ الموت في لقته أو التسيب في لقتميك من أن يكون سببًا في دخول النار العياذ بالله وهذا أمر لا تعرفه القوانين الوضعية التي يحكم بها الناس اليوم.

وحَنَّ النبيُّ ﷺ من قَلْبِ الحيَانِ بلا لَمَفَ ، فقَالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ : "إنَّ من إنسانٍ يقْتُلُ عصْفُورًا فما فَوْقَها بغيْرِ حقِّها، إلا سأَلَهُ اللهُ عنْها يومَ القيامةِ". قيل: يا رسولَ اللهِ وما حقُّها؟ قالَ : "حقُّها أنْ يذْبحَها فيأْكُلَها، لا أنْ يقْطَعَ رأْسَها يرْمي بِها" [رواه النَّسائيُّ].

وقَدْ أمَرَ النبيُّ ﷺ بالإحسانِ عندَ ذبْحِ الذبَّائحِ فقَالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ : "إنَّ اللهَ كتَبَ الإحْسانَ على كلِّ شيْءٍ ، فإذَا قتَلْتُمْ فأَحْسنُوا القتْلةَ، وإذَا ذبَحْتُمْ فأَحْسنُوا الذبْحةَ، ولْيحِدَّ أحَدُكُمْ شفْرَتَهُ ويُرِحْ ذبيحَتَهُ" [رواه مسلم]. وقَدْ ذكر أحدُ العُلَماءِ الغَرْبيِّين أنَّ المسْلمين تعلَّموا آدابَ الإسْلامِ في الذبْحِ وهذَا دليلٌ على تمسُّكِ هذا الدِّينِ من كلِّ وجْهٍ ولله الحمْدُ والمنَّةُ .

وقال النبي ﷺ: "لا تتخذوا شيئًا فيه الروح غرضًا" [متفق عليه] أي لا تتخذوا الحيوان الحي هدفًا ترمونه بسهامكم، لأن هذا فيه تعذيب للرحمة التي يجب على المؤمن أن يتحلى بها.

والنبي ﷺ كان يرفع الظلم والقهر حتى عن الحيوان ويهتم لذلك أشد الاهتمام، فقد دخل النبي ﷺ بستانًا لرجل من الأنصار وإذا فيه البانتة جملٌ، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه.

فأتى إليه رسول الله ﷺ فمسح على رأسه، فسكن، ثم قال: "لمن هذا الجمل؟" فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فقال النبي ﷺ: "ألا تتقي الله في هذه البهيمة

تالِّي ملَكَ اللهُإِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكَىإِلَيَّ أَنَّكَتَجِيعُهُوتُئْدِبُهُ[1]"

[رَواهُأَبُوداود وصحَّحه الألبَانِيُّ].

ولَلحدِيثِ ضَيبٌ مِنَ الرَّحمَةِ المحلميَّة ، فَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ أَنَّالنبي ﷺ سَمِعَ المنبر، صلَتحَ النخْلَةُالَّتِي كَانَ يخْطُب عَلَيْهِ صِياحَ الصبِيِّ ، فَنَزَلَ النبيُّ ﷺ مِنَ المِنْبَرِ حَتَّى أَخَذَهَا إِلَيْهِ ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصبِيِّ الَّذِي يُسَكَّن، فَقَالَ ﷺ: "بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ ".

لَكِنَّ الحسَنَ إِذَا حَدَّثَ بِهذا الحديث بَكَى وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ المسْلِمِينَ الخشبةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شوقًا إِلَى لِقَائِهِ ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشتَاقُوا إِلَيْهِ [2].

---

(١) تُئْدِبُه تُهْلِكُه بالعَمَلِ واللَّصْقِ.

(٢) فتح الباري (٦/ ٦٠٢).

المجْلِسَ الحَادِّى عَشَرَ

مِنْ فَضَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ فَضَائِلَ نَبِيِّنَا ﷺ كَثِيرَةٌ وَمَحَامِدَهُ ﷺ غَزِيرَةٌ وَمِنْ ذَلِكَ:

١-مَا مَدَحَهُ اللهُ بِهِ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَمَحَاسِنِ الصِّفَاتِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وَقَالَ ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ" [رواه الطبراني].

٢-مَا مَدَحَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ بِأُمَّتِهِ وَبِالنَّاسِ جَمِيعًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:

٤٣]وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله ﷺ: «إِنَّ أَذَى رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ» [رواه الحاكم وصححه الألباني].

٣- رعاية الله لنبيه ﷺ بنهيه عن الحزن لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨].

٤- ما جاء في شرح صدره ورفع ذكره ﷺ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤].

٥- كونه ﷺ خاتم النبيين: لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ

أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وَلَقَدْ ﷺ لِيَمْكُثَ وَمَكَثَ الأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِهِ عَلَى رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ مِنَ الْبُنْيَانِ وَيَقُولُونَ لَوْلاَ وُضِعَتْ هَاهُنَا لَبِنَةٌ، فَيَتِمَّ بُنْيَانُكَ؟ فَكُنْتُ أَنَا اللَّبِنَةَ" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

٦- وَقَفَ يَدُهُ ﷺ عَلَى الأَنْبِيَاءِ لِنُطْقِهِ ﷺ: "فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ" [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

٧- أَنَّهُ ﷺ تَلَقَّى الْخَلْقَ أَجْمَعِينَ بِقَوْلِهِ ﷺ: "أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ،

فَجَعَلَ فِي يَدِهِ مْ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِرْقَتَ يْنِ، فَجَعَلَ فِي يَدِهِ مْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ، فَجَعَلَ فِي يَدِهِ مْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا، فَجَعَلَ فِي يَدِهِ مْ بُيُوتًا، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ بُيُوتًا، وَيَخْرُجُ مِنْهُمْ نَفْسًا" [رواه أحمد وأبوداود وصححه الألباني].

٨ - أَنَّه ﷺ صَاحِبُ الحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ:

لِقَوْلِهِ ﷺ: "أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَطْتَرُ كُمْ بِيَدِي رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ رَبِّ أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ" [رواه البخاري].

وَقَالَ ﷺ: "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً قَدْ دَعَا بِهَا، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي قَدْ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ" [متفقٌ عليه].

٩ -وهو ﷺ سيد الناس يوم القيامة لقوله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر" [رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني].

١٠ -وهو ﷺ أول من يدخل الجنة يوم القيامة لقوله ﷺ: "أنا أول من يقرع باب الجنة، فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: أنا محمد. فيقول: بك أمرت فلا أفتح لك، فلم أطلب لأحد قبلك، ولا أقوم لأحد بعدك" [واه مسلم].

١١ -وهو ﷺ القدوة الحسنة لكل إنسان يرجو الله والفوز بجنته والنجاة من ناره، كما قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ

وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

١٢ - وهو ﷺ المنزه عن النطق بالهوى إن كلامه المتعلق بالوحي الشريعة يعد من الوحي الذي لا يأتيه الباطل كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

المجلس الثاني عشر

ولادته، رضاعه، صيانة الله له

ولد النبي ﷺ يوم الاثنين من شهر ربيع الأول قيل في الثامن منه وقيل في الثاني عشره وقيل في الثامن عشره وقيل في العاشره وقيل في الثاني عشره. قال ابن كثير: والصحيح أنه ولد عام الفيل، وقد حكاه إبراهيم بن المنذر شيخ البخاري وخليفة بن خياط وغيرهما إجماعًا.

قال علماء السير: لما تمت له آمنة قالت: ما وجدت له ثقلاً، فلما ظهر خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب.

وأخرج ابن عساكر وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله

عَفْرَاءَ: لَوْلَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَبْدُ المُطَّلِبِ عَبْدُ بَكْشٍ، وسَمَّاهُ مُحَمَّدًا قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا الحَارِثِ لِمَاذَا سَمَّيْتَهُ مُحَمَّدًا وَلَمْ تُسَمِّهِ بِاسْمِ آبَائِهِ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يَحْمَدَهُ اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَيَحْمَدَهُ الخَلْقُ فِي الأَرْضِ.

وفاة والده:

وَتُوُفِّيَ أَبُوهُ ﷺ وَهُوَ حَمْلٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَقِيلَ: بَعْدَ وِلَادَتِهِ بِشَهْرٍ وَالمَشْهُورُ الأَوَّلُ.

رضاعه ﷺ:

أَرْضَعَتْهُ ثُوَيْبَةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ أَيَّامًا، فَأَعْتَقَهَا أَبُو لَهَبٍ فَرَحًا بِهَذَا الغُلَامِ، ثُمَّ اسْتَرْضَعَ لَهُ ﷺ بَنِي سَعْدٍ، فَأَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ وَأَخَاهُ لِأَبِيهِ بَنِي سَعْدٍ وَخَالَ مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، وَشَقُّوا صَدْرَهُ هُنَاكَ، فَاسْتَخْرَجَ المَلَائِكَةُ قَلْبَهُ،

وَغَسَلُوهُ وَأَخْرَجُوا مِنْ حَفْرِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، ثُمَّ مَلأَهُ اللهُ وُرُودًا مِنْ حِكْمَةٍ وَرَأْفَةٍ وَرَحْمَةً، ثُمَّ أَعَادُوهُ إِلَى مَكَانِهِ.

وَقَدْ شَبَّهَتْ عَلَيْهِ حَلِيمَةُ بَعْدَ هَذِهِ الحادثة، فَرَدَّتْهُ إِلَى أُمِّهِ وَحَدَّثَتْهَا بِمَا حَصَلَ، فَلَمْ تُخْبِرْهَا ذَلِكَ.

مَاذَا يُسَمَّى هَذَا؟ كَانَ هَذَا التَّقْسِيمُ وَالتَّطْهِيرُ يُسَمَّى:

الأَوَّلُ: التَّطْهِيرَ الَّذِي يُنَقِّي قَلْبَهُ مِنْ مَغْرِزِ الشَّيْطَانِ.

وَالثَّانِي: لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُرِيَ الْخَضِرَ الْقُدْسِيَّةَ، لِيُطَهِّرَ بَلاَدَتَهُ كَالسَّمَوَاتِ، فَتُشَاهِدَ بَوَاطِنَ الأُمُورِ وَلَمْ يَرَ قَلْبَهُ حِكْمَةً وَإِيمَانًا.

وفاة أمه ﷺ:

لمّا بلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ستَّ سنينَ خرَجَتْ به أمُّهُ إلى أخوالِ جدِّهِ بَني عُدَيِّ بْنِ النَّجَّارِ بالمدينةِ تَزُورُهُمْ ومَعَها أُمُّ أيمنَ، فأقامَتْ عندَهُمْ شهرًا، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ بالأبْوَاءِ وهي راجعةٌ إلى مكَّةَ.

لمّا مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بالأبْوَاءِ وهُوَ ذاهبٌ إلى مكَّةَ عامَ الفتحِ استأذَنَ ربَّهُ في زيارةِ قبرِ أمِّهِ فأذِنَ لهُ، فبكَى وأبكَى مَنْ حولَهُ وقالَ: **"زُورُوا القُبُورَ، فإنَّها تُذَكِّرُ الموتَ"** [رواه مسلم].

فلمَّا ماتَتْ أمُّهُ، حَضَنَتْهُ أُمُّ أيمنَ وهي مولاتُهُ ورِثَهُ مِنْ أبيهِ، وكفَلَّهُ جدُّهُ عبدُ المطَّلبِ، فلمَّا بلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ

الْعُمُرِ ثَمَانِينَ وَفِيُّ جَدَّهُ، وَلَمْ يَبْهِ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَكَفَلَهُ، وَحَاطَهُ أَتَمَّ حِيَاطَةٍ وَنَصَرَهُ وَآزَرَهُ حِينَ بَعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَذِيرًا وَأَتَمَّ مُؤَازَرَتَهُ مَعَ أَنَّهُ اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ فَخَفَّفَ اللهُ بِذَلِكَ مِنْ عَذَابِهِ، كَمَا صَحَّ الْحَدِيثُ بِذَلِكَ.

صيانة الله تعالى له من دنس الجاهلية:

كَانَ اللهُ تَعَالَى قَدْ صَانَ نَبِيَّهُ ﷺ وَحَمَاهُ مِنْ دَنَسِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَطَهَّرَهُ مِنْ دَنَسِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَضَّى عَلَيْهِ الْأَصْنَامَ، فَلَمْ يَعْبُدْ صَنَمًا وَلَمْ يُعَظِّمْ صَنَمًا وَلَمْ يُشَارِكْ شَبَابَ قُرَيْشٍ فِي فِسْقِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، بَلْ كَانَ ﷺ مِنْ أَكْمَلِ النَّاسِ عَقْلًا وَأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا وَأَجْمَلِهِمْ فِعْلًا بِحَيْثُ لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ بَيْنَ قَوْمِهِ إِلَّا بِالْأَمِينِ لِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ طَهَارَتِهِ وَصِدْقِ حَدِيثِهِ وَكَانُوا يَرْضَوْنَ بِحُكْمِهِ وَيَنْزِلُونَ عَنْ رَأْيِهِ، وَقَدْ تَجَلَّى لَهُ كَفِي

قصةَ وضعِ الحجرِ الأسودِ في مكانِه، فقدَّرضوا بما أشارَ إليه من رأيٍ حيثُ أمرَ بوثبٍ ووضعُ الحجرِ في وسطِه، وأمرَ لكلِّ قبيلةٍ أنْ ترفعَ بجانبٍ من جوانبِ الثوبِ ثمَّ أخذَ الحجرَ بيدِه ووضعَه مكانَه، فهدأتْ بذلك الفتنُ، وانطفأتْ نيرانُ الفتنةِ التي كانت تنذرُ بحربٍ بين القبائلِ.

المجلس الثالث عشر

زواجه ﷺ

تزوج النبي ﷺ خديجة وله خمس وعشرون سنة، وكانت في الأربعين من عمرها، وكان ﷺ قد خرج إلى الشام تاجرًا لها مع غلامها ميسرة، فرأى من أمانتها وكرم أخلاقها ما رغبه في الزواج منها، فلما رجع أخبرت سيدتنا خديجة رضي الله عنها بما رأى فرغبت في الزواج منه، فتزوجها.

ومكثت خديجة رضي الله عنها قبل الهجرة ثلاث سنين، وقد مكث النبي ﷺ بعدها خمسًا وعشرين سنة لم يتزوج بغيرها حتى ماتت هي في السنة العاشرة من النبوة، وكان عمرها حوالي خمسين عامًا. ثم تزوج النبي ﷺ بعائشة

نسوة لحكم ثيكة قاصد لجيلة ،وهذا يكذب ما ادعاه
بعض المشرتقين وغيرهم من أهل العناد و التكذيب من أن
النبي ﷺ كان رجلاً شهوانيًا يبحث عن المتعة إذ كيف يكون
ذلك، و قد مكث مع امرأة واحدة -تكبره بخمس شرعة
سنة -ستة أشهر ين سنة لم يتزوج بغيرها حتى ماتت ،
و حتى ذهب عنه الشباب ووفور الشهوة ، فهل كان
الشهوة تحامدة طال هذا العمر المديد ،ثم ظهرت فجأة بعد
أن وصل النبي ﷺ إلى الخمسين من عمره؟، هذا القول لا
يتفوه به عاقل .

و قد سخر من هذا القول ثير من علماء ومفكري
الغرب لسفههم .اقت الجاثة الإيليطانية الدكتورة: لورا
فيشيا فاغليري" : إن محمدًا طال سنوات الشباب التي

تكُونُ فيها الغَريزةُ الجنسيةُ أَقْوى مَا تكُونُ وعَلَى الرَّغْمِ مِن أَنَّ الشَّرعَ فِي مجتمعٍ كمجتمعِ العربِ قبْلَ الإسْلامِ حيثُ كَانَ الزوَاجُ كمؤسسةٍ اجتماعيةٍ مفقودًا أَوْ يكادُ وحيثُ كَانَ تعَدُّدُ الزوْجاتِ هُوَ القاعدةَ وحيثُ كَانَ الطَّلاقُ سهلاً إلى حَدٍّ الحدودُ، لم يتزوجْ إلا مِن امرأةٍ واحدةٍ قبلَ أن يرغبَ في خديجةَ التي كانَ أكبرُ منه بكثيرٍ وأنفقَ عليها خمسَ عشرةَ سنةً وزوجَها المخلصَ المحبَّ ولم يتزوجْ مرةً ثانيةً وأكثرَ من مقرٍّ إلا بعدَ أن توفيتْ خديجةُ وإلا بعدَ أن بلغَ الخمسينَ من عمرِه.

لقدْ دلَّ كلُّ زواجٍ من زواجاتِه سببٌ اجتماعيٌّ أَوْ سياسيٌّ لذلك بأنَّه قصدَ من خلالِ النِّقاطِ التي تزوجَهنَّ إلى تكريمِ المرأةِ والتأنيقِ بالقَوْلِ، أَوْ إلى إنشاءِ علاقةٍ

سَبَب مَع بَعْض العُذَر والقَبَائِل الأُخْرَى بِتَابِع لِتَشَدُّد طريق جيد للإشارة الإسلام.

وبِاستِثْنَاء عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَيْسَ بِرَغْبَة، تَزَوَّجَ محمدٌ ﷺ نِسوة لم يَكُن عُذَارَى، ولا شَابَّات، فَهَل كَانَ لِذَلِك شَهوَانِيَّة؟

لَقَدْ كَانَ رَجُلاً لا إِلهًا، وَقَدْ تَكُون الرَّغبة الدَّاخِلِيَّة هي الَّتِي دَفَعَتْهُ إلى الزَّوَاج مِن جَدِيد، لأن الأولاد الذين أَنجَبَهُم مِن خَدِيجَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَه كَانُوا قَدْ مَاتُوا.

هو لَيْسَ بِرَغْبَة أَنْ تَكون لَه مَوَارِد كَثِيرَة أَخَذَ ﷺ على عَاتِقِه هو الضُّلُوع بِالأُسْرَة ضَخْمَة، لَكِنَّه التَزَمَ بِهَا سَبِيل المسَاوِئ المُمْكِنَة نَحوهُنَّ جَمِيعًا ولَم يَلْجَأ قَطُّ إلى اصطِنَاع

حق التَّفَرُّق مع أيٍّ منهنَّ.

لقد تصرَّف ﷺ مأساتيًّا بتمنِّي الأبْله القُدامى مثل موسى يرغم الذين يبدو أنهم أكثر من اللَّازم لتعويض على زواجهم المتعدِّد، فهل يكون مردُّ ذلك إلى أنَّنا نجهل تفاصيل حياتهم اليوميَّة على حين كان يُوقف شيء عن حياة محمدٍ ﷺ العاديَّة؟!"[1].

زوجاته ﷺ:

تزوَّج عيسى الصَّلاة والسَّلام سودة بنت زمعة بعد وفاة خديجة، ثمَّ تزوَّج عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما، ثمَّ تزوَّج بكرًا يرغمها، ثمَّ تزوَّج حفصة بنت عمر بن

(١) قالوا عن الإسلام - للدكتور عماد الدين خليل - ص(١٢٠، ١٢١). نقلاً عن كتابه "قرع على الإسلام".

الخطَّابي رضي الله عنها، ثُمَّ تزوجَ زينبَ بنتَ خزيمةَ بنِ الحارث، وتزوَّجَ أمَّ سلمةَ واسمُها هندُ بنتُ أميةَ، وتزوَّجَ زينبَ بنتَ جحشٍ، وتزوَّجَ جويريةَ بنتَ الحارث، وأمَّ حبيبةَ، وتزوَّجَ إثرَ فتحِ خيبرَ صفيةَ بنتَ حييٍّ، ثُمَّ ميمونةَ بنتَ الحارثِ الهلالي رضي الله عنها، وهي آخرُ من تزوَّجَ رسولُ الله ﷺ.

المجْلِسَ الرابِعَ عَشَرَ

النَّبِيُّ والمرْأةُ (١)

لقَدْ أَعْلَى الإِسْلامُ مِنْ قَدْرِ المَرْأَةِ وَكَرَّمَها، ومَنَعَها حُقُوقَها، وجَعَلَها نِدًّا مُكَافِئًا للرَّجُلِ وشَرِيكَةً لَهُ.

يَرْغَبُ أَنَسٌ هذا الزَّخْمَ بِحَدِيثٍ مأثُورٍ عَنِ النبيِّ ﷺ تَكْرِيمِ المَرْأَةِ ورَعْيِ شُئُونِها، والأَخْذِ بِمَشُورَتِها والرِّفْقِ بِها، وإِعْطَائِها في كَافَّةِ المَوَاقِفِ، وإِعْطَائِها كَامِلَ حُقُوقِها مِمَّا لَمْ تَكُنْ تَحْلُمُ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَقَدْ كَانَ العَرَبِيُّ -بِطَبْعِهِ- قَبْلَ الإِسْلامِ يَكْرَهُ البَنَاتِ، ويَعْتَبِرُهُنَّ عَارًا، حَتَّى أَخَذَ العَرَبُ الجَاهِلِيُّونَ يَشْتَهِرُ

بدفن الإناث وهن أحياء، وقد صور القرآن ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨ - ٥٩].

وكانت المرأة الجاهلية إذا مات عنها زوجها، ورثها أبناؤه وقاربه، إن شاؤوا زوجوها من أحدهم، وإن شاؤوا حرموها من الزواج وحبسوها حتى الموت، فجاء الإسلام لذلك كله شاهرًا عصا من أحكام عادلة تضمن حقوق المرأة والرجل على حد سواء.

فقد أخبر النبي ﷺ عن مساواة المرأة للرجل في الإنسانية، فقال عليه الصلاة والسلام: **إنما النساء شقائق**

الرَّجُلَ "[رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ].

فَلَيْسَ هُنَاكَ فِي الإِسْلَامِ مَا يَمْنَعُ الرَّجُلَ مِنَ الْمَرْأَةِ كَمَا تَصَوَّرُ أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ، إِنَّمَا هِيَ الأُخُوَّةُ وَالتَّكَامُلُ بَيْنَهُمَا.

وَقَدْ قَرَّرَ الْقُرْآنُ الكريم مُسَاوَاةَ الْمَرْأَةِ فِي الإِيمَانِ وَالْعَمَلِ وَالْجَزَاءِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠].

ولَمَّا أمر النبيُّ ﷺ بمحبَّة المرأة قال عليه الصلاة والسلام: **حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ** "[رواه النسائي وصححه الألباني]".

إذا كان النبيُّ ﷺ يحبب النساء فكيف يظلمهن؟ وكيف يحقرهن؟ وكيف يقهرهن؟

وكذلك أبطل الله تعالى عادة وأد البنات ودفنهن أحياء، فقد أبطل النبي ﷺ تلك العادة القبيحة ورغب في بيتة نالبت الإحسان إليهن، فقال عليه الصلاة والسلام: **مَنْ**

ما عَ جلِيزِيَتْ حَتَّى تَبْلُغَ جاءَ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَمَامَ وَهُوَ ضَمَّ بِينَ أَصَابِعِهِ —" [رواه مسلم]وذلك إشارَةٌ إِلَى عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ، وَقُرْبِهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا رَأَيْتَهُ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَصِيرَ لَهُنَّ إِلَيْهِ سَنٌّ الْبُلُوغِ وَالنِّكَاحِ .

وَقَالَ ﷺ: "مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ ، أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ ، فَلَهُ الْجَنَّةُ" [وَالتِّرْمِذِيُّ وصححه الألباني].

وَلَقَدْ حَرَصَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى تَعْلِيمِ الْمَرْأَةِ فَجَعَلَ لَهُنَّ يَوْمًا يَجْتَمِعْنَ فِيهِ يَأْتِيهِنَّ وَيُعَلِّمُهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ. [رواه مسلم].

لَمْ يَجْعَلِ النَّبِيُّ ﷺ الْمَرْأَةَ حَبِيسَةَ الْبَيْتِ كَمَا يَزْعُمُونَ بَلْ أَبَاحَ لَهَا الْخُرُوجَ مِنَ الْبَيْتِ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهَا وَزِيَارَةِ أَقَارِبِهَا،

عَ يادَظلِلْ ، وألَحَ لهاَ أَنْ بتَبِيعَ وتَتَوَ يفِيَ السوقُ مَع
تالْوَ ها بيِئَ ها وَ جبالشر عَ ْي ٍّ و كَذَلكَ أباح لهاَ الخُروج
إلى المساجِ د،إنْ نهَ ى عنَ ْعَ نْ ها فقَلَ ﷺ لا"تَ مَ ْنَعُوا نِساءَ كُمُ
المساجِ دَ " [رواه أحمد وأبوداود].

وطَلَبَ ْ ﷺ بالْمرَةأَ فقَلَ : اسْ ْوَصُوا بِ للنِّسَ ْيخَ ًا"
[فقَّ ٌ عليْ] وهَ ضَ ْيقَتَ حسُ ْشَرَ تهَ نأَحوتَ اَم حوُقُ ْهِ نَّ ،
وعَاية مئَ ِهَ نوَ عديِ ائِ هنبَأي ٍّ وَ ْمعٍ لأَ ْذَى.

المجلس الخامس عشر

النبيُّ والمرأةُ (٢)

لقد رغب النبيُّ ﷺ الأزواجَ في نفقةِ أزواجهن، فقال عليه الصلاة والسلام: **إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك**" متفق عليه].

بل إن النبيَّ ﷺ جعل النفقة على الأسرة من أفضل نفقة الرجل، فقال ﷺ: **أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه الرجل على عياله**" [رواه مسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام: **إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر**" [رواه أحمد وحسنه الألباني].

وَقَدْ سَمِعَ هَذَا الحديث رَبِيبُهُ بْنُ سَارِيَةَ رضي الله عنه، فَسَارَعَ إِلَى الماءِ، ثُمَّ أَتَى زَوْجَتَهُ فَسَقَاهَا، وَحَدَّثَهَا بِمَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

هَكَذَا عَلَّمَ النبيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ حُسْنَ العِشْرَةِ لِلنِّسَاءِ وَالعِظَ عَلَيْهِنَّ وَالشَّفَقَةَ بِهِنَّ وَإِيصَالَ أَنْوَاعِ الخيرِ لَهُنَّ وَالنَّفَقَةَ عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ.

بَيَّنَ النبيُّ ﷺ أَنَّ حُسْنَ العِشْرَةِ لَيْلٌ عَلَى نُبْلِ نَفْسِ الرَّجُلِ وَكَرَمِ طِبَاعِهِ، فَقَالَ عليه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: **"خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ"** [رواه أحمد والترمذي] وَنَهَى النبيُّ ﷺ عَنْ بُغْضِ الرَّجُلِ زَوْجَتَهُ فَقَالَ عليه الصلاةُ والسَّلامُ: **"لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً -أَيْ لَا يُبْغِضُهَا- إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ"** [رَوَاهُ مُسْلِم].

وهكذا كان النبي ﷺ يأمر الرجال بالبحث عن الإيجابيات والسلوكيات الحميدة في المرأة، والتغافل عن الهفوات والسلبيات، لأن البحث في السلوك السلبي والوقوف عنده طويلاً يؤدي إلى النفور والبغضاء بين الزوجين.

نهى النبي ﷺ عن سب الديك فقال عليه الصلاة والسلام: "لا تسبوا إمام الله" [رواه أبو داود].

وتوعد الذين يؤذون النساء فقال ﷺ: "اللهم أني أحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة" [رواه أحمد وابن ماجه] والمعنى أن من ظلم هذين الصنفين لا يحمد الله بل هو متعرض للحرج والعقوبة في الدنيا والآخرة.

ونهى النبي ﷺ الرجال عن إفشاء سر الزوجات، وكذلك الزوجات منهيات عن إفشاء سر الأزواج فقال عليه الصلاة والسلام: «إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها» [رواه مسلم].

ومن تكريم النبي ﷺ لمرأة أنه نهى الأزواج عن سوء الظن بالزوجات، وتلمس العثرات، فعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً؛ يتخونهم أو يلتمس عثراتهم» [متفق عليه].

أما سلوك رسول الله ﷺ مع أزواجه، فقد ذكر في غاية الرقة واللطف. فعن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة

هَلَكَ -أَيْ سَيَأْتِي هُدْهُدٌ مِنْ تِهَامَةَ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ [رواه البخاري].

وَكَانَ تَرْكُ النَّبِيِّ ﷺ أَزْوَاجَهُ مِلَايِطُ فَهْمَ الْحَدِيثِ الْحُلْوِ الرَّائِقِ الْكَلِمَاتِ الْعَذْبَةِ الْحَانِيَةِ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «إِلَّا عَرَفْتُ حُبَّكَ وَرِضَاكَ» قَالَتْ: كَيْفَ تَعْرِفُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِنَّ إِذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِنْ كُنْتِ سَاخِطَةً قُلْتِ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ» فَقَالَتْ: أَجَلْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ. [متفق عليه] أَيْ إِنَّ الْحُبَّ فِي قَلْبِي لَثَبَتٌ لَا يَتَزَعْزَعُ!

وَلَمْ يَنْسَ النَّبِيُّ ﷺ زَوْجَتَهُ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَتَّى

بعدها، فعن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا أُتي الهدية قال: "اذهبوا بها إلى فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة" [رواه الطبراني]. فهذا هو احترام النبي ﷺ لمرأة، فأين نحن من ذلك يا دعاة تحرير المرأة؟!

المجلس السادس عشر

مبعثه ﷺ ودعوته قومه

بُعث ﷺ الأربعين من عمره، وهو سن الكمال، فنزل عليه الملك جبريل يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وكان إذا نزل عليه الوحي اشتد ذلك عليه، ويتغير وجهه، وعرق جبينه.

فلما نزل عليه الملك قال له: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ». فغطه الملك حتى تبلغ منه الجهد، ثم قال له: اقرأ. فقال: «ما أنا بقارئ»، ثلاثًا ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها يَرْتَجِفُ، وَأَخْبَرَهَا بِمَا رَأَى، فَبَشَّرَتْهُ وَقَالَتْ لَهُ: أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ بَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ.

ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ

حيًّا إذ يخرجك قومك فقال ﷺ: أوَمخرجيَّ هم؟ قال: نعم؛ لم يأت رجلٌ قطُّ بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن توفي.

ثم فتر الوحي، فحزن رسول الله ﷺ مما شاء الله أن يحزن لا يرى شيئًا، فيغتم لذلك، ويشتاق إلى نزول الوحي.

ثم تبدى له الملك بين السماء والأرض لعيسى كذلك، فبشره بأنه رسول الله حقًّا، فلما رآه رسول الله ﷺ خاف منه وهرب إلى خديجة وقال: "زملوني، دثروني" فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ

فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ١ - ٤].

أمره الله تعالى في هذه الآيات أن ينذر قومه، ويدعوهم إلى الله ويُعظِّم الله تبارك وتعالى، ويطهِّر نفسه من الصلال والآثام.

فشمر النبي ﷺ عن ساق التكليف، وعلم أن رسول الله حقًّا، فقام في الله أتم قيام، يدعو إلى الله تعالى الكبير والصغير، والحر والعبد، والرجال والنساء، والأسود والأحمر، فاستجاب له من كل قبيلة نفر، فمن أراد الله فوزهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، فدخلوا في الإسلام على ورع وبصيرة، فأخذهم سفهاء مكة بالأذى والعقوبة، وكان الله ورسوله ﷺ بعم أبي طالب، فقال: كفر يقًا مطاعًا فيهم، بنيلاً بينهم، لا يتجاسرون على مفاجأته بشيء في أمر رسول

الله ﷺ لما يعلمون من محبته له، كما هم على دينهم وهذا ما جعلهم يصرون عليه لا يجاهرونه بالعداوة .

قال ابن الجوزي رحمه الله: نزلت هذه الآية بين الستر باللوعة، ثم نزل عليه ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فأعلن الدعاء. فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: "يا صباحاه" فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد! فاجتمعوا إليه فقال: "يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب" فاجتمعوا إليه فقال: "أرأيتم لو خبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟" قالوا ما جربنا عليك كذبا. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" فقال عمه أبو لهب: تبا لك ألما جمعتنا إلا

لهذا؟! ثُمَّ قَامَ، فنزل قولُه تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخرِ السورةِ [متفقٌ عليهِ].

المجلس السابع عشر

صبره ﷺ على الأذى

لقد خاض النبي ﷺ مرارة القوة، وسلك مفاوز التضحية واقتحم مهاوي الإرشاد، ودعا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما كان عليه آباؤهم من الشرك والكفر وعبادة الأوثان، وعداء الأصنام وأمرهم بترك الملك وهجر المحرمات، فآمن به القليل وكذبه الكثير.

ولما رأى الرسول أن النبي ﷺ قد صانه الله وحماه بعمه أبي طالب إلا أنه أخذ يوصوه ويضيق عليه أشد التضييق، ففي السنة السابعة من البعثة دخل النبي ﷺ شعب مع عمه بأي طالب وبني هاشم وبني المطلب مسلمهم وكافرهم مما

عدا أبا لهب ، فلما دخلوا الشعب أجمعت قريش على حصارهم ،ولا يقبلوا لهم صلحًا أبدًا، وقطعوا عنهم الأسواق ، ومنعوهم الرفق، إلا أن يسلموا رسول الله ﷺ ليقتلوه،وكتبوا بذلك صحيفة تتضمن هذا الظلم والجور ، وعلقها في جوف الكعبة وبعد دخول النبي ﷺ الشعب أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة خوفًا الاشتداد الأذى عليهم وهي الهجرة الثانية – فهاجر نحو ثلاثة وثمانين رجلاً، وتزوج عثمان امرأة وتوجه إليهم مسلمو أهل اليمن .

ومكث النبي ﷺ الشعب بقايا من ثلاث سنين في شدة الجهد والجوع لا يصل إليهم شيء إلا سرًا، حتى أنهم أكلوا ورق الشجر ، واستمر الحال على ذلك حتى السنة العاشرة ، حيث قام جال من قريش بنقض الصحيفة ،فخرج رسول

الله ﷺ ومَنْ معَهُ من الشِّعْب .

في نفس السنة توفِّيت خديجة زوج النبي ﷺ وبعد واتفاقا بنحو شهرين وقيل عمه أبو طالب ، فلما ماتت نالت قريش من الرسول ﷺ ما لم تقدر على في حياته، واشتد أذاهم له وقصدهم عليه [1].

في الصحيحين أنه كان ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل :أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه فتضاحكوا، وجعل

(١) انظر لباب الخيار في سيرة المختار ص(٣٧ – ٤٠).

بعضهم على بعض. فجاءت فاطمة فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم. فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم فقال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط» وذكر ابن مسعود: فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر.

وفي رواية البخاري أن عقبة بن أبي معيط أخذ يومًا بمنكبي النبي ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر فدفعه عنه وقال: أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟!

فَلَمَّا اشْتَدَّ أَذَى رَسُولِ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ، فَدَعَا بِالْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُمْ إِلَّا الْعِنَادَ وَالسُّخْرِيَةَ وَالْأَذَى، وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْا عَقِبَيْهِ، فَقَرَّ الرُّجُوعَ إِلَى مَكَّةَ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ قَرْنِ الثَّعَالِبِ رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ، فَإِذَا سَحَابَةٌ قَدْ أَظَلَّتْهُ، فَنَظَرَ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَادَاهُ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ لِتَأْمُرَنِي فِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ - جَبَلَانِ بِمَكَّةَ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"**. [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

المجلس الثامن عشر

في حفظ الله نبيَّه ﷺ

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة: ٦٧].

قال ابن كثير: "أي: بلِّغ رسالتي وأدِّها كما أمرك الله، ولا تخش أحدًا من الناس، ولا تحزن، فإن الله حافظك ومؤيدك على أعدائك، ومظفرك بهم، ولا تخف، ولا تحزن، فليصيبن أحدًا منهم إليك سوء، وقد كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يحرس".

ومن صور حفظ الله لنبيه ﷺ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن أبا جهل قال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟

فقيل له: نعم. فقال: واللات والعزى! إن رأيته يفعل ذلك

للكَ لأَ َطَنَّ على رتقبَوالأُعَفِّرنَّ وجهْفِي ترالأُّب ، فأتَى رسول َ الله ﷺوهُوَ يُصَلِّي ٍّ –زعَم ليَطَأَ عُنُقَه.اقَ َ : فَما فَجَ َأهُمْ ِهْلإِ َّ وهَوُيَكَنْ ُ لعَ َقعَبَيْ، وقَيِتَّ بيد ِه.فقالُوا لَه:ذَلكَ َ ؟

قَالإِ:نَّبَيِّي وبَيَْهُلخَّْا مِنْاروهَ ْولاً، وأجِْحةً .

فَقَلَ َرسَوُلُ الله ﷺ: "لَوْادَنَ ِنِّي لاخْتَطَفَتْهُلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا" [واهُسلِم].

وعَن ابْنِ عبَّاضٍي رَ اللهُعَنْهُمَ َأَنَّ أَبَا جهَلْ اقَ َلئَ: نْ رأيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِّ ندَ الكَعْبَلأَ َطأَنَّ لعَ َقهُنُ ِه.فبَلَغَ لَهُ َ النبيَّ ﷺقال َ : "لَوْفَعَلَهُأَ َخَذَتْهُلاَئِكَةُ" [رَواه البُخَارِيُّ].

وعَنْ جابَر ِبْنِ عبَْ اللهاقَ َ : قَلَاتَ َرسَوُلُ الله ﷺ، افجِ َ خصفةً ، فَأَوَمْ ِنَالمسلمْين غ ِرةً ، فَجَاءَ رَجَل ٌقيُلَ

لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: "اللهُ" فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فأخذه النبي ﷺ فقال: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قال: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فقال النبي ﷺ: "تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ" قال: لا، ولكني أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله فرجع فقال: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ. [رواه الحاكم وصححه].

وعن أنس قال: كان رجل نصرانيًّا فأسلم، وكان يقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نَاصِرَانِيًّا وكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض. فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه؛ لما هربوا عنهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له وأعمقوا،

فأصبحَ وقدْ لفظتْهُ الأرضُ ، فقالوا: لعلَّ محمدًا وأصحابَه، بشّوا عن صاحبِنا، فحفرُوا له وأعمقُوا ما استطاعُوا، فأصبحُوا وقدْ لفظتْهُ الأرضُ معهم، وأنّى ليس من الناسِ، فألقوْه. [رواه البخاري].

ومن حفظ الله بنبيِّه ﷺ أنَّ نجّامًا من محلة الغيال دوّتها لويقش بليل، حيث اتفقوا على أن يأخذوا من كلِّ قبيلة فتًى شابًّا جلدًا، ثمَّ يعطى الحلوى من هؤلاء سيفًا مصلتًا فيضربون به رسول الله ﷺ ضربة رجل واحد، فيقتلونه، ويتفرَّق دمه بين القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب العرب جميعًا. فجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ بأمرٍ من الله تعالى، فذكر له المكر الذي، وأمره ألَّا يبيت في فراشه تلك الليلة وأخبره بأنَّ الله تعالى قد أذن له بالهجرة.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا لَفْظُ اللهِ لِلنَّبِيِّ مِنَ الْكَبَائِرِ وَاقِعَةَ بِنْ مَالِكٍ وَهُوَ فِي طَرِيقِ الْهِجْرَةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ لَفْظُ اللهِ بِنَبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي الْغَارِ، فَقَدْ قَالَ لَهُ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ إِلَى مَوْضِعِ قَدَمَيْهِ لَرَآنَا. فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا».

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَقَدْ عَصَمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ لَفْظًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ هَا وَحَدَّهَا وَمَا حَوْلَهَا وَتَوَفَّيْهَا، مَعَ شِدَّةِ الطَّلَبَةِ وَالْبَغْتَةِ وَضَبْطِ الْمَحَابَةِ لَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا بِمَا يَخْلُقُهُ اللهُ بِالْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ بِقُوَّةِ وَحُكْمِهِ الْعَظِيمَةِ، فَهَذَا فِيهِ تَابِعَ الرِّسَالَةِ بِعَمَّيْ طَالِبٍ إِذْ كَانَ رَئِيسًا مُطَاعًا بِمَكَّةَ فِي قُرَيْشٍ وَخَلَقَ فِي اللهِ قَلْبِهِ مَحَبَّةً طَبِيعِيَّةً رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا شَرْعِيَّةً، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَسْلَمْ لَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ مَكَّارُهَا وَفُجَّارُهَا،

وكَانَ بينَهُ وبينَهُم قَوْمٌ مُشْتَرَكُونَ مِنَ الكُفْرِ هَابُوه واحْتَرَمُوه.

فلَمَّا مَاتَ عَمُّهُ أَبُو طالب الذي هو المشْرِكُ أَذًى يَسِيرًا، ثُمَّ فَرَّقَ اللهُ لَهُ الأَنْصَارَ، فَبَايَعُوهُ عَلَى الإِسْلام، وعَلَى أَنْ يتحولَ إِلَيْهِم هُوَ ومَنْ مَعَهُ مِنَ الأَحْمَرِ والأَسْوَدِ وكُلَّمَا هَمَّ أَحَدٌ مِنَ المشْرِكِينَ وأَهْلِ الكِتَابِ بِسُوءٍ كَادَهُ اللهُ وَرَدَّ كَيْدَهُ عَلَيْهِ [1].

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٠٨ – ١١٠) باختصار.

المجلس التاسع عشر

مَحَبَّةُ النَّبِيِّ ﷺ

إن من لوازم الإيمان محبة النبي الأعظم ﷺ وكيف لا يحب المسلم نبيه وهو السبب في هدايته إلى طريق الفوز والإيمان والسبب في نجاته من الكفر والنار!

قال النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" [متفق عليه].

إن محبة النبي ﷺ تتجاوز محبة الإنسان نفسه، لهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك" فقال

لَهُ عُمَرُ: إِنَّهُ الآنَ -وَاللهِ- لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: "الآنَ يَا عُمَرُ" [رَوَاهُ البُخَارِيُّ]، أي: الآنَ عَرَفْتَ فَنَطَقْتَ بِمَا يَجِبُ.

إِنَّ مَحَبَّةَ النبيِّ ﷺ فِيهَا كُلُّ خَيْرٍ، يَدَّعِيهَا أَهْلُ الأَهْوَاءِ والبِدَعِ، يَدَّعِيهَا القُبُورِيُّونَ والسَّحَرَةُ والْمَشْعُوذُونَ، بَلْ يَدَّعِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الفِسْقِ والفُجُورِ، ولكنَّ القضيةَ لَيْسَتْ بِدَعْوَى المُحِبِّ، بَلْ بِتَحْقِيقِ المَحَبَّةِ، إِذْ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ النبيِّ ﷺ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، واجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وأَلَّا يُعْبَدَ اللهَ تَعَالَى إِلَّا بِمَا شَرَعَهُ لا بالبِدَعِ والأَهْوَاءِ، ولِذَلِكَ فَإِنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى" قَالُوا: ومَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ومَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى" [متفقٌ عَلَيْهِ].

إن محبة النبي ﷺ تستفي إقامة المولد، ولا المآتم ولا في إقامة حفائد الطعوم والإطعام، بل هي في العمل بسنته، وتعظيم شريعته، وإحياء هديه، والذب عنه وعن سنته، وتصديق بخبره، واستحضار هيبته عند الحديث عنه، والصلاة عليه كلما ذكر، ولزوم الابتداع شريعته، ومحبة أصحابه والأنصار لهم، ومعرفة فضائلهم، وبغض من بغى سنته، أو نقص الشريعة أو تنقص من أقدار حملتها ورواتها؛ فكل من خالف شيئًا من ذلك فهو بعيد عن محبة النبي ﷺ بقدر مخالفته.

فالنبي ﷺ -مثلاً- يقول: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [متفق عليه].

ويقول: "إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة"

رواه أهل السنن].

ومع هذا التحذير من البدع يأتي ناس، فيبتدعون في دين الله تعالى ما ليس منه، ويستحسنون هذه البدع، بل ويزعمون أن من دلائل محبة النبي ﷺ أن قد ينكبون عليه، ويضعون الحديث ويسندونه إلى النبي ﷺ ويقولون: كذبنا له، ولم نكذب عليه، هذا من أعظم الفرى وأقبح الضلال، لأن شريعة الله تعالى كاملة لا تحتاج إلى كذب هؤلاء وأباطيلهم.

ومن هذا النوع أن النبي ﷺ نهى عن سب أصحابه وقال: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» [متفق عليه].

ومع ذلك تجد ناسًا يسبون أصحاب رسول الله ﷺ،

ويَلْعنُون أَبَا بكْرٍ وعُمَرَ، ويَرمُون الطاهرةَ المطهَّرةَ عائشةَ أُمَّ المؤمنينَ رضي اللهُ عَنْهَا بما بَرَّأَها اللهُ في كتابِه، ويَزْعمُون أنهم يفعلُون ذلك محبةً رسول الله ﷺ ودفاعًا عن أَهْل بيته.

وعَنْ هذا الغَرَضِ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الغُلُوِّ في إطرائه، فقَالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ" [رواه البخاري].

ومع هذا النهي الواضح نرى أُناسًا يَتَّبعُون سَنَنَ أَهل الكتاب يصفُون النَّبيَّ ﷺ بالأوصاف التي لا تَليق إلا بالخالق سبحانه، ويَسألُونه الرِّزْقَ والشفاءَ من الأمراض والنَّجاةَ من الهلاك، وغير ذلك مما لا يُطلب إلا من الله تعالى، ثُمَّ يزعمُون أَنَّ ذلك من الغلو في محبة النبي ﷺ والصحيح أَنَّ من

دلائلِ الجهلِ الشركِ والمخالفةِ للهِ ولرسولِهِ ﷺ.

المجْلِسَ العّشْرَونَ

أعْظَمُ علاَمَاتِ النُّبُوَّةِ

إنَّ أعظم علامات نبوة نبينا محمد ﷺ هو القرآن العظيم، ذلك الكتاب الذي تحدَّى الله تعالى به العرب وغيرهم إلى يوم القيامة أن يأتوا بمثله، فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

قال ابن الجوزي وهو معجز من أوجه:

أَحَدُهما اشْتِمَالُهُ عَلَيْهِ مِنَ الفَصَاحَةِ والبَلاَغَةِ في الإِيْجَازِ والإِطْنَابِ، فَتَرَى القِصَّةَ بِاللَّفْظِ الطَّوِيلِ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بِاللَّفْظِ الوَجِيزِ، لا يَخُلُّ بِمَقْصُودِ الأُولَى.

والثَّاني: مُشَاهَدَةُ أَسَالِيبِ الكَلامِ وأَوْزَانِ الشِّعْرِ، وبِهَذَيْنِ المُعْجِزَيْنِ تُحُدِّيَتِ العَرَبُ، فَعَجَزُوا وتَحَيَّرُوا وأَقَرُّوا بِفَضْلِهِ، حَتَّى قَالَ الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ: واللهِ لَهُ حَلاَوَةً، وإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاَوَةً.

والثَّالِثُ: ما تَضَمَّنَ مِنْ أَخْبَارِ الأُمَمِ السَّالِفَةِ وسِيَرِ الأَنْبِيَاءِ الَّتِي عَرَفَ أَهْلُ الكِتَابِ، مَعَ كَوْنِ الآتِي بِهَا أُمِّيًّا لا يَكْتُبُ ولاَ يَقْرَأُ ولاَ عَلِمَ لَهُ بِمُجَالَسَةِ الأَحْبَارِ ولاَ الكُهَّانِ.

ومَنْ كَانَ مِنَ العَرَبِ يَكْتُبُ ويَقْرَأُ ويُجَالِسُ العُلَمَاءَ الأَخْبَارِ لَمْ يَدْرِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ القُرْآنُ.

والرابع: إخباره عن الغيوب المستقبلة الدالة على صدقه فيما أوقعه على ما أخبر، وكقوله لليهود ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٩٤]، ثم قال: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا ﴾ [البقرة: ٩٥].

وقوله: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣]، ثم قال: ﴿ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة: ٢٤] فما فعلوا.

وقوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢] وما غلبوا.

وقوله: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧] ودخلوا.

وقوله في أبي لهب ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ

حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ٣ – ٥].

وهذا دليل على أنهما يموتان على الكفر، وكذلك كان.

والخامس: أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحى الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا يوم القيامة» [متفق عليه].

قال ابن عقيل: «من إعجاز القرآن أنه لا يمكن لأحد

أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ آيَةً أُخْرَى مِنْ هَذَا مِنْ كَلَامٍ قَدْ سَبَقَ، فَإِنَّهُ مَا زَالَ اللَّهُ يَكْشِفُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ، يُقَالُ: الْمُتَنَبِّي أَخَذَ مِنَ الْبُحْتُرِيِّ!.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَقَدِ اسْتَخْرَجْتُ مِنْ هَذَا عَجَائِبَ:

أَحَدُهَا: أَنَّ مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ذَهَبَتْ بِمَوْتِهِمْ، فَلَوْ قَالَ مُحَمَّدٌ الْيَوْمَ: أَيُّ دَلِيلٍ لِمَنْ صَدَّقَ مُحَمَّدًا وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟

قِيلَ لَهُ: مُحَمَّدٌ ﷺ لَهُ الْقَمَرُ، وَمُوسَى لَهُ السَّلَامُ شُقَّ لَهُ الْبَحْرُ لَقَالَ: هَذَا مُحَالٌ.

فَجَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذَا الْقُرْآنَ مُعْجِزًا لِمُحَمَّدٍ ﷺ يَبْقَى أَبَدًا؛ لِيَظْهَرَ لِيَ صِدْقُهُ بَعْدَ وَاتِهِ، وَجَعَلَهُ دَلِيلًا لِمَنْ صَدَّقَ

الأنبياء إن هم مصدّقٌ لهم بمخبرٍ حالهم.

والثاني: أنّ أخبار أهل الكتاب بأنّ محمدًا ﷺ مكتوبةٌ عندهم في التوراة والإنجيل، وشهد لخاطب بالإيمان لو ائتلبر له وذهب شهادات على غيب، فلو لم يكفِ القرن والإخبار فقد، كان ذلك مرغمًا لهم عن الإيمان به، ولو لم يعم خاطبٌ واحدة من أنفسهما خلاف ما شهد لهما به، فرارًا عن الإيمان[1]".

(١) الوفا ص(٢٦٧ – ٢٧٣) باختصار.

المجْلِسَ الوَاحِدَ وَالْعِشْرُونَ

عِبَادَةُ النَّبِيِّ ﷺ

كَانَ النبيُّ ﷺ كثيرَ العبادةِ من الصلاةِ والصيامِ والذِّكْرِ والدُّعاءِ وغيرِ ذلكَ من أنواعِ العبادةِ، وكانَ ﷺ إذا عَمِلَ عَمَلاً أثبتَه وحافظَ عليهِ، فعَنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا فاتَتْه الصلاةُ من الليلِ من وجعٍ أو غيرِه، صلَّى من النهارِ ثِنْتَيْ عشرةَ ركعةً. [رواه مسلم].

وكانَ النبيُّ ﷺ يقومُ من الليلِ، وكانَ يقومُ من الليلِ حتَّى تتفطَّرَ قدماهُ فلما قيلَ له في ذلك قال: **"أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟"** [متفقٌ عليه].

وعَنْ حُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ رضيَ اللهُ عنهما قالَ: صلَّيْتُ مع النبيِّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فافتتحَ البقرةَ، فقلتُ يركعُ عندَ المائةِ، ثُمَّ

ضيمَ . فقلْ ُ ضيُلي ِّبه ا في وتَْمضى َ ، ثم افتتَح المِّنَ اء فقرأَ ها،ثُمَّ افتَح آلعَ مرْ انَ فقرأَهَ ا،يقَرْأُ مترُسَ ِّلاً(١)إ ذلمرَّ بآية ف يها تسبج ٌ سبَّح، وإِمذَ ّ بسؤال سأَل َ ، وإِا هَرَّ بتعوذٌّ تعوَّذَ، ثُمَّ ركعَ فجلعَ يقول ُ :"سُبْحَانَبِيَ ِّ الْعَظِيمِ" فكان رُكوعُه نَحومًا رقيْام ه،ثُمَّ قال:"سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ"،ثُمَّ قامقَ ياما ًطِ يلاً رقَيبًا مما ركَعَ ،ثُمَّ سَجَدَ فقَلَ :"سُبْحَانَبِيَ الْأَعْلَى" فكَانَسَ ُجودُهُ يقًا م رقيْامه " [واهُسلْ م].

وكَان ﷺفُ ظُ لِعَشَرعَ ْ ركَعَات فِي الحضر َ ائمًا : ركَعْتَ قَبْ َ الظهر ، وركَعْتَ بعدَها، وركَعْتَ بعْدَالمغرب ، وركَعْتَ بعَلْعَ شاءفي يتبَه، وركَعْتَ قَبْ َ صلاَة الفجر .

---

(١) مترسلاً: مرتلاً متمهلاً.

وكانَ محافظًا على سنةِ الفجرِ أشدَّ من جميعِ النوافلِ، ولم يكنْ يدعُها في حضرٍ ولا سفرٍ، ولم يُنقلْ أنه ﷺ صلى في السنةِ الراتبةِ غيرَها.

وكانَ يصلي أحيانًا قبلَ الظهرِ أربعًا. وكانَ يصلي ليلةً بآيةٍ يرددُها حتى الصباحِ.

وكانَ ﷺ يتحرى صومَ الاثنينِ والخميسِ. [رواه الترمذي وحسنه].

وقالَ ﷺ: «تُعرضُ الأعمالُ يومَ الاثنينِ والخميسِ، فأحبُّ أن يُعرضَ عملي وأنا صائمٌ» [رواه الترمذي وحسنه].

وكانَ ﷺ يصومُ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ، فعنْ معاذةَ العدويةِ أنها سألتْ عائشةَ رضي اللهُ عنها: أكانَ رسولُ الله ﷺ يصومُ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ؟ قالتْ: نعمْ. قالتْ: من أيِّ الشهرِ كانَ يصومُ؟ قالتْ: لم يكنْ يبالي من أيِّ الشهرِ يصومُ.

رواه مسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر" [رواه الترمذي وحسنه النووي].

وكان ﷺ يصوم عاشوراء ويأمر بصيامه [متفق عليه].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله. وفي رواية: كان يصوم شعبان إلا قليلاً. [متفق عليه].

وأما عبادة الذكر، فقد كان لسان النبي ﷺ لا يتوقف من ذكر الله عز وجل، فكان يذكر الله عز وجل في كافة أحواله، فكان إذا فرغ من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: اللهم

أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"
[رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَكَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ" [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" [متفقٌ عليه].

وكان ﷺ يكثر من الاستغفار فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم» [رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح].

وكان ﷺ ينهى عن الغلو ويحذر من التشدد في العبادة ويقول: «عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا» وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه. [متفق عليه].

المجْلِسَ الثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

بَدْءُ انْتِشَارِ الإِسْلَامِ

رَجع النبيُّ ﷺ إلى مكةَ، بعْدَمَا قابلَ أهلُ الطَّائف بالسُّخْرِيَةِ والاستهْزاء وَدخلَ في جِوار المُطْعِم بْن عَدِيٍّ..

وفي وَسط هذَا الجوِّ المشحُون بالتكْيب والحصارَ والقهْر، أَراد اللهُ تبَارك وتَعالى أَنْ يُثَبِّتَ رسولَه ﷺ فأكْرَمَه بالإسْرَاءِ والمعْرَاج، وأَرَاهُ منْ آياته الكُبْرَى، وَأطْلَعَهُ عَلى دلَائل عظَمَة آيَات قُدْرَته، يكُونُ لَذلكَ قوَّةً في مواجهة الكُفْرِ وأهله.

أَمَّا الإِسْرَاءُ: فهُو توَجُّهُه ﷺ ليْلاً من المسْجد الحرَام بمكَّةَ إلى المسجد الأقْصَى في بيت المقْدس، ورُجُوعُه منْ ليْلَته.

وأَمَّا المعراجُ: فهُوَ صعُوهُ إلى العالَم العلوي ولِقاؤُه الأنبياءَ، ورؤيتُه عالمَ الغيْبِ، وفيه فُرِضَتِ الصلَواتُ الخمْسُ.

وكانت هذه الحادثةُ سببًا في تمحيص أهْلِ الإيمانِ، فقدْ ارتفضَّ الذين أسْلَموا، وذهب طلبعْ إلى أبي بكْرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنه وقالُوا له: إن صاحبك يزْعمُ أنَّه أُسْرِيَ به الليلةَ إلى بيت المقْدس. فقال الصديقُ: أوَقالَ ذلك؟ قالُوا: نعَمْ. قال: لئِنْ كانَ قال ذلك لقدْ صدَقَ. قالُوا: أوتُصدِّقُه أنَّه ذهبَ الليلةَ إلى بيت المقْدس وجاءَ قبْل أن يُصبِح؟

قال: نعَمْ إني لأُصدِّقُه فيما هو أبْعدُ من ذلك، أُصدِّقُه بخبَرِ السماءِ في غدْوةٍ أوْ روْحةٍ فلذلك سُمِّي أبو بكرٍ الصدِّيقَ.

إن تكذيب قريش للنبي ﷺ وعدم تمكينه له لمن أداء الرسالة جعله ﷺ يتجه إلى القبائل العرب الأخرى، فبعد رجوعه ﷺ من الطائف بدأ يعرض نفسه على القبائل في الموسم يبشرهم الإسلام، ويعرض عليهم الإيواء حتى يبلغ كلام الله.

فكان منهم من يرد ردًا قبيحًا، ومنهم من يرد ردًا حسنًا. وكان من قبائلهم رد لو بنو حنيفة، رهط مسيلمة الكذاب.

ومن عرض نفسه عليهم نفر من عرب "يثرب" من الأوس، فلما كلمهم النبي ﷺ عرفوا صفة الذي كانت تتوعد به اليهود، فقال بعضهم لبعض: "والله إنه النبي الذي توعدنا به اليهود فلا تسبقن إليه" فآمنوا به، وهم ستة كانوا

سبب تَ لِشْار الإسلاْ فِي المدينة ، وهَلاؤُ الستةُهم ْ أَمَ ْعدُبْنُ زُرَارَ َةوَ عَوْفُ ْبنُ الحَارِث ، ورَافِ َع ُبنْ أُلِكَ ، و َقُطْبَةُعْبَنامُ ِر بْنِ حَ َيدةَو عَقُبْةَ ُبنْ أُمَ َر، وسَ َعْدُبْنُ الرَّبِيع.

انثُصَّرَ فُوا بَعدآَنْوَعدوُه بالمقابَلِ العالقاد ِم.

فَلَمَّ كانَالعامُ القَابِلِ فُي القسنَ الثانيةَ عشرةَ من البعْثَ حدَثت ْ بيعةُ العقَبةَالأ ْ ُولىفوَ يها بايَع النبيَّ ﷺ اثْنَرعَ َ رَجُ ًلاشَرعَ ْ مقٌ ن الأَوْس ، واثْنَم ن الخزرْ َج فوَ يهم ْ خمسةٌ م ن القستَّ الأَوَّلين َ ، فوَآلمنُع ند العقَ َ ، وبايعَوه ىلَ ما أحبَّ من الإيمان والتصدْيق توكَالشر ِّ ْكاصليلعَ فلِ الخير ْ ، ولاَ َّ يقولُوا إلا َّ الحقَّ ، انثُصَّرَ فُوا إ لى المدينَ ، فأَظْهَ َر اللهُ يها الإسلاْ مَ ، لموتبق َدارمٌ ن دُورِ المدينَلِا َّ فيهَا ذ ِكْ الرسَّول ﷺ.

فِي العام الَّذِي لِيَقِعَ العَقَبَةَ الأُولَى أَي السنةَ الثالثةَ عشرةَ مِنَ البَعْثَةِ حدَثَتْ بَيعةُ العقبةِ الثانيةِ وَفَدَ عليها رسولُ الله ﷺ بَعْضُونَ رَجُلاً وامْرَأَتَانِ فأَسْلَمُوا وبَايَعُوهُ عند العقبةِ على السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي العُسْرِ واليُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَأَنْ يَقُولُوا فِي اللهِ لا يَخَافُونَ فِيهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وَعَلَى الطُّمَأْنِينَةِ والمنعةِ.

ثُمَّ طَلَبَ مِنهم النبيُّ ﷺ أَنْ يُخْرِجُوا مِنهمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ، فَأَخْرَجُوا لَهُ النُّقَبَاءَ تِسعةً مِنَ الخَزْرَجِ، وثلاثةً مِنَ الأَوْسِ، فَقَالَ لَهُمُ النبيُّ ﷺ: أَنْتُمْ كُفَلاءُ عَلَى قَوْمِكُمْ كَكَفَالَةِ الحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي، ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى المدينةِ، فَانْتَشَرَ الإِسْلامُ بَيْنَ

أَهْلِهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ[1].

وَكَانَ هَذَا مُقدمةً للهِجْرة النبوِيَّةِ المبَارَكَةِ.

(١) انظُرْ لُبَابَ الخَبَايَا فِي سِيَرِ المخْتَارِ ص(٤٢، ٤٣).

المجْلِسَ الثالِثُ وَالْعِشْرُونَ

الهِجْرَةُ إِلَى المدِينَةِ

لَمَّا اشتدَّ الأَذَى بأصحَابِ رَسُولِ الله ﷺ أَذِنَ رسولُ الله ﷺ لهم بالهجْرَةِ إِلى المدينة، وكَانَ النبيُّ ﷺ قدْ اطْمأنَّ بأنَّ الدَّعْوةَ قدْ انتشرتْ في المدينة، ولأنَّهَا قدْ أَصبَحَتْ مُهَيَّأَةً لاستِقْبالِ المهَاجِرِينَ.

فَبَادَرَ المؤْمِنُونَ إِلَى الهجْرَةِ، وخَرَجُوا أَرْسَالاً يتْبع بعضُهُم بعضًا.

وبَقِيَ النبيُّ ﷺ وبَقِيَ معه أَبُو بكْرٍ وعَلِيٌّ، وكذَلِكَ مَنِ احْتَبَسَتْهُ كُرْهًا.

لِعَمْرِي يَقِينُ أَنَّ أَصْحَابَ النبيِّ ﷺ هَاجَرُوا إِلى أَرْضٍ

مَنْعَة، فَخَافُوا مِنْ إِشْهَارِ هَذَا الدِّينِ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي خَطَّطُوا لاغْتِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا، أَعْلَمَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِمَا دَبَّرَهُ هَؤُلاءِ مِنْ كَيْدٍ، وَأَمَرَهُ بِالْهِجْرَةِ وَالْخُرُوجِ بِمَنْ آمَنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَلَّا يَنَامَ فِي مَضْجَعِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

طَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنْ يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ، وَأَنْ يَتَسَجَّى بِبُرْدِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّيَ عَنْهُ وَدَائِعَ النَّاسِ فَامْتَثَلَ عَلِيٌّ لِلأَمْرِ، وَنَامَ فِي فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ السُّوفُ شُرُفٌ عَنْ خَلَفٍ اللَّبَبِ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، وَكَانَ اللهُ تَعَالَى أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ فَكَايَةً فِيهِمْ، نَثَرَ

النبيُّ ﷺ التُّرابَ على رؤوسهم ثمَّ انطلقَ إلى بيت صديقه أبي بكرٍ، وخرجا مسرعين ليلاً.

انطلقَ النبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ حتَّى وصلا إلى غار ثورٍ، ودخلا الغارَ حتَّى يخفَّ عنهما الطَّلب.

أمَّا قريشٌ فقد ثارت ثائرتها عندما علموا بفساد مكرهم، وفشل خطَّتهم، فأرسلوا الخيلَ من كلِّ جهة، ورصدوا لمن يأتي بالنبيِّ ﷺ أو يدلُّ عليه مائة ناقة، وقد أوصلهم البحثُ عن النبيِّ ﷺ إلى باب الغار، ووقفوا عنده، إلَّا أنَّ الله تعالى صرفهم عنه وحفظ نبيَّه ﷺ من مكرهم، فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله! لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرنا. فأجابه رسولُ الله ﷺ: "ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما".

[رواه البخاريُّ].

وبعد ثلاث ليالٍ جاءهما الدليل الذي قد استأجراه من قديد بالرحيل حسب الخط المحدد سلفًا، ثم اتجها نحو المدينة.

في الطريق مر النبي ﷺ بخيمة أم معبد الخزاعية، وأصابها من بردٍ شديد ما هما يسلى به قطرة لبن، فاستأذنها في حلبها، فملأ العس لبنًا وسقاها وسقى من معه، ثم شرب هو ﷺ، ثم حلب الإناء ثانيًا فملأه وارتحل ﷺ.

وسمع سراقة بن مالك بأن النبي ﷺ قد سلك طريق الساحل، وكان يطمع في جائزة قريش، فركب فرسه وأخذ رمحه، وانطلق في طلبهم، فلما قرب منهم دعا النبي ﷺ، فساخت يدا فرسه في الأرض، فعلم أن ذلك بدعاء النبي ﷺ وأنه محفوظ، فطلب الأمان وعاهد النبي ﷺ أن يرد عنه

الطَّبَ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فخلصتْ يدَاه، فَجَمَع وأخذ يخُلُّ المنَّ عنِ البخْفِي الجهةِ التي بها رسولُ اللهِ ﷺ.

كان الأنْصارُ يخرُجونَ كلَّ يومٍ إلى مداخلِ المدينة ينتَظِرُون قُدُومَ النبيِّ ﷺ ثُمَّ يعُودُونَ إلى منازلهمْ لمَا اشتدَّ الحرُّ فلما كانَ يومُ الاثْنَيْنِ ثَشرعَ رَبيعٍ الأولِّ، لمَعَ رأسِ لاثَشرعَ قَمَنةً من البُوَّةصاحَ صائحٌ بقدُومِ رسُولِ اللهِ فسَلَّمَ عالصاجُ وَ التَّكْفِيُ لكُكان، وخَرَجَ المنَّجمُ يعًا لاستْقبَلَ رسُولَ اللهِ ﷺ.

فَلَمَّا النبيُّ ﷺ بالقُبَ أسوَّس مَسْجِ داقُبَ، وهُوَ أوَّلُ مسجدٍ نبِيَ في الإسلاْمِ.

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ قُبَاءٍ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ بِهَا أَيَامًا، وَفِي الطَّرِيقِ أَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فَصَلَّاهَا بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهِيَ أَوَّلُ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَبَعْدَ الصَّلَاةِ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ مِنْ أَحَدِ طُرُقِهَا الْجَنُوبِيَّةِ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ صَارَ اسْمُهَا مَدِينَةَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ عَمَّ الْفَرَحُ وَالْبَهْجَةُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِقُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلِذَلِكَ صَارَ لِلْإِسْلَامِ مَقَرٌّ تَنْطَلِقُ مِنْهُ لِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ إِلَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.

المجْلِسَ الرابِعَ والْعِشْرُونَ

مَعِيشَةُ النبيِّ ﷺ

لقدْ علِمَ النبيُّ ﷺ حقيقةَ الدنيا، وسرْعةَ زوالِها وفَنائِها، فما اتخَذَ فيها عيشةَ الملوكِ ولا عيشَ الأغنياءِ المترفينَ يجُوعُ يومًا فيها ويشبَعُ يومًا فيشكرُ.

وبيَّنَ النبيُّ ﷺ لأمتِه خطورةَ الفتنةِ بالدنيا، والانغماسِ في شهواتِها وملذاتِها، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «إنَّ الدنيا حلوةٌ خضرةٌ وإنَّ اللهَ مستخلفكم فيها، فناظرٌ ما تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساءَ، فإنَّ أولَ فتنةِ بني إسرائيلَ كانت في النساءِ» [رواه مسلم].

وعلَّمَ النبيُّ ﷺ أنَّ الدنيا مرَّ منزلًا ولم يرَ لهُ وجهَ منزلٍ

خلاق له، فكان ﷺ يقول: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة" [متفق عليه].

ولكنك قد جعل الآخرة همه، وفرغ قلبه من هموم الدنيا، فأتته الدنيا طوعًا، فكان يتحاشاها ويقول: "مالي ولدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها" [والترمذي وقال: حسن صحيح].

وأتى عمرو بن الحارث أخو جويرية زوج النبي ﷺ: "ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة" [رواه البخاري].

هذه هي تركة سيد الخلق أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه.

وسلامه عليه، وهو الذي أبى أن يكون ملكًا رسولاً وظن أن يكون عبدًا رسولاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال لجبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل هذه الساعة. فلما نزل قال: يا محمد! أرسل إليك ربك: ملكًا أجعلك، أم عبدًا رسولاً؟ فقال له جبريل: تواضع لربك يا محمد! فقال رسول الله ﷺ: **لا، بل عبدًا رسولاً"** [رواه ابن حبان وصححه الألباني].

وهكذا كانت عيشة النبي ﷺ مبنية على التضرع والزهد والاستخفاء، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: **"توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍّ لي، فأكلت منه حتى طال عليَّ فكلته ففني"** [متفق عليه].

وذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا قال: "لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه" [رواه مسلم].

والدقل هو رديء التمر.

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "لقد خفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة، وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال" [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاوين لا يجدون عشاء وإنما

كان أكثر خبزهم الشعير " [رواه الترمذي وقال حسن صحيح].

وعن أنس رضي الله عنه قال: " لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات ولم يأكل خبزًا مرققًا حتى مات " [رواه البخاري].

وكان ﷺ يجلس على الحصير وينام عليه، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير قال: فجلست، فإذا عليه إزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه ﷺ وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية في الغرفة، وإذا إهاب معلق، فابتدرت عيناي. فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقلت: يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير

(١) قرظ نبت معروف كالعلس يخرج من شجر العضاه.

(٢) إهاب جلد.

قَدْ أثَّر في جَنْبِكَ، وهذه خزانتُك لا يَرَى فيها إلَّا ما أرَى، فإنَّك تَرَى وقَيْصَرَ في الحَرِّ والأنهارِ، وأنتَ نبيُّ اللهِ وصَفْوتُه، وهذه خزانتُك! فقالَ ﷺ: **"يا ابنَ الخطَّابِ! أما ترضَى أنْ تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدُّنيا؟"** [رواه ابنُ ماجَهَ وصحَّحه المنذريُّ].

المجْلِسَ الخَّامِسَ وَّالْعِشْرُونَ

أُسُس بِنَاء الدَّوْلَة

دخَلَ النبيُّ ﷺ المدينةَ، فتلقَّاه أهْلُها بالبِشْرِ والتَّرْحاب، وكانَ ﷺ لا يمرُّ بأحدٍ من وُجُوهِ الأنْصارِ إلاَّ أخَذَ بخِطامِ راحلتِه ودَعاه إلى النُّزولِ عِنْدَه، فكانَ ﷺ يلتفتُ إليهم ويقولُ: خلُّوا سبيلَها فإنَّها مأمُورةٌ، فلم تزلِ النَّاقةُ برَّكت حتَّى وصلَتْ إلى مَوْضِعِ مسجِدِه فبرَكَتْ، ثمَّ نهضَتْ، فسارتْ قليلاً، ثمَّ رجعَتْ إلى المَوْضِعِ الأوَّلِ فبرَكَتْ، فنزلَ النَّبيُّ ﷺ على أخوالِه في بَني النَّجَّارِ، وقالَ ﷺ: **أيُّ بُيُوتِ أهْلِنا أقْرَبُ؟** فقالَ أبُو أيُّوبَ: أنا يا رسولَ الله. فقالَ النبيُّ ﷺ لأبِي أيُّوبَ الأنْصارِيِّ رضي الله عنه.

كانَتْ أوَّلُ خُطْوةٍ خَطاها رسولُ الله ﷺ بعْدَ قُدُومِه إلى المدينةِ هي بِناءُ المسجِدِ النَّبَوِيِّ والمكانِ الَّذي برَكَتْ

فيه ناقته، وكان الغلامان من بني النجار، فاشترى منهما، واشترك في بناء المسجد بنفسه، ثم بنى فيه، وجعل يعمل معهم لبنة لبنة، وهو يقول: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة» وجعل يرتجز برواحة بن ثابت، وهو يعمل معهم، وهو يقول: «هذا الحمال لا حمال خيبر، هذا أبر ربنا وأطهر» وجعل يقول: «اللهم إن الأجر أجر الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة» فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لنا، ولم يعين، ولكن الله سماه في كتابه، وأثنى عليه، وهو يقول: ﴿وَمِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ثم أخذ النبي ﷺ يبني حجرته التي يسكنها، وأمر ببناء المسجد، وأمر ببناء حجر أزواجه إلى جانب المسجد، ولما أكملت له الحجرات ترك النبي ﷺ داره التي نزل فيها أولا، وانتقل إلى تلك الحجرات، وشرع الأذان ليجتمع الناس متى حانت الصلاة.

ثم آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وكانوا تسعين رجلا؛ نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار؛ آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة.

وادع رسول الله ﷺ من بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتابا، وبادجهم وعاهدهم عبد الله بن سلام فدخل

في الإسلام وأبى عامتهم إلا الكفر[١].

ونظم النبي ﷺ العلاقة بين سكان المدينة من المهاجرين والأنصار واليهود وتوبعض كتب السير أنه كتب في ذلك وثيقة كان من بنودها:

* المؤمنين من المهاجرين والأنصار أمة واحدة من دون الناس.

* وإن المؤمنين لا يتركون مفرحًا[٢] بينهم أن يعطوه بالمعروف.

* وإن المؤمنين المتقين على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم.

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٣، ٦٥).

(٢) المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

*ولا يقتل مؤمن مسلمًا في كافر، ولا يصرن كافرًا على مؤمن.

*وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

*وإن من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم.

*وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

*وإنه ما كان بينكم من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ.

*وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

---

(١) يوتغ: يهلك.

* إن بطانة يهود كأنفسهم إلا يخرجهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ.

* إن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

* إن لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

إليك نود هذه الصحيفة التي نظمت العيش بين المقيمين الموجود بالمدينة، وتالي حددت مفهوم الأمة الإسلامية التي تضم المسلمين جميعًا، والدولة الإسلامية هي المدينة النبوية، وجعلت المرجعية العليا لله ولرسوله ﷺ، خاصة عند الخلاف والنزاع.

وهذه الصحيفة لما صانت الحرية كحق الفرد والجماعة وحق الأمن لكل إنسان.

كما أقرت مبدأ المساواة والعدل بين الناس جميعًا.

إن المتأمل في نود هذه الوثيقة يشهد كما من البدء

الحضارية التي يدين بها المهتمون بحقوق الإنسان في أن النبي ﷺ هو أول من رسم معالم تلك الحقوق ونظم واقعها في شرع الله تعالى المتمثل في الكتاب والسنة، وهذا هو الحد الفاصل بين حقوق الإنسان المعلنة وبين ما تدعو إليه المنظمات الدولية مما يزعمون حقوقًا وهو في الحقيقة حقوق وظلم وامتهان لكرامة الإنسان وانتهاز لبعض الفئات على حساب البعض الآخر.

المجْلِسَ السادس والْعِشْرُونَ

شَجَاعةُ النَّبيِّ ﷺ

كَانَ النبيُّ ﷺ أشجعَ النَّاسِ، يدلُّ على ذلكَ أنَّه قامَ وحدَهُ وجهْ الكفْرِ وحدَهُ، يدعوُ إلى التوحيْدِ وإخلاصِ العبادةِ لله تعَالى، فتصدَّى لهُ أهْلُ الكفْرِ جميعًا، وحَاربُوه عنْ قوْسٍ واحدة، وآذوْه أشدَّ الإيذاء، وتآمرُوا على قتله مرارًا، فلمْ يهْتمْ بذلك، ولمْ يكنْ لهُ قناةً، بلْ زادهُ ذلكَ دعوتَه، وتمسكًا بالحقِّ الذي معه. وقفَ في بيتِ الله وشموخٍ متحديًا وطأةَ الأرْضِ: "واللهِ لوْ وضعُوا الشمْسَ في يميني والْقمرَ في يساري على أنْ أترُكَ هذا الأمْرَ ما تركْتُه حتَّى يُظْهرَه اللهُ أوْ أهْلكَ دونَهُ".

وعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ أحْسنَ

النَّاس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري في عنقه السيف، وهو يقول: "لم تراعوا، لم تراعوا" متفق عليه، أي لا تخافوا لا تخافوا.

قال النووي رحمه الله: وفيه تقدم: هذا بيان شجاعته ﷺ، وشدة قلبه في الخروج إلى العدو وقبل الناس كلهم، بحيث كشف الحال، ورجع قبل وصول الناس.

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا يوم الخندق نحفر، إذ عرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت

(١) كدية: صخرة صلبة.

في الخندق فقال ﷺ: "أنا آتٍ" ثم قام، وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب في الكدية، فعاد كثيبًا أهيل أو أهيم" [رواه البخاري] والمعنى أن هذه الصخرة الصلبة، التي لم يستطع الصحابة تركها، تحولت إلى كثيب من الرمل المبعثر لشدة ضربة النبي ﷺ وهذا دليل على قوة ﷺ.

وقد أراد عليه الصلاة والسلام من الشجعان الإقدام والثبات أمام الأهوال في أشدها، بالمكان العالي الذي لا يليه فيها أحد، لا يعلم قدرها إلا من وهبها له جل في علاه.

ولهذا حرم النبي ﷺ ما حرم من الغارات في كل جهاته الجاهلية، وما حفظ عنه مرة أنهم بالتأخر عن ملاقاة

قدمًا أو أحجم بعدًا، الأمرُ الذي جعله بين أصحابه ملء العيون والصدور، فقدًا مطاعًا يمتثل الصغير منهم والكبير إشارته، لا لأنه رسول الله ﷺ فقط، بل ولما كانوا يرون منه من الشجاعة والبأس ما كانوا يرون أنفسهم بسببه دمًا صفرًا، مع أن فيهم الأبطال الذين لا تضرب بشجاعتهم الأمثال[1].

في هذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كنا إذا احمر البأس، وحمي الوطيس، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أدنى إلى العدو منه. [والحديث النسائي].

وقال علي أيضًا: **لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ**

---

(١) محمد ﷺ الإنسان الكامل ص(١٨٨، ١٨٩).

بالنَّبِيِّ ﷺ وهُوَ أَقْرَبُ إلى العدُوِّ، وكانَ أشدَّ النَّاسِ بأسًا"

[رواه أحمدُ].

وفي غزوةِ أحُدٍ تقدَّمَ اللعينُ أُبيُّ بنُ خلفٍ على فرسِه يريدُ قتلَ النبيِّ ﷺ ويقولُ: أينَ محمَّدٌ لا نجوتُ إن نجوتَ. فقالَ القومُ: يا رسولَ اللهِ يلتفتُ إليه رجلٌ منَّا؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "دعوه" فلمَّا دنا، تناولَ رسولُ اللهِ ﷺ الحربةَ من الحارثِ بنِ الصِّمَّةِ، فانتفضَ بها انتفاضةً، تطايرَ الصَّحابةُ رضي اللهُ عنهم عنها، ثمَّ استقبلَهُ ﷺ فطعنَهُ في عنقِه طعنةً تأوَّدَ منها عن فرسِه مرارًا -أي: تقلَّبَ وتدحرجَ- فرجعَ إلى قريشٍ يقولُ: قتلَني محمَّدٌ، وهم يقولونَ لا بأسَ عليكَ. فقالَ: لو كانَ بجميعِ الناسِ لقتلتهم، أليسَ قد قالَ: أنا

أَقْتُلك، واللهِ لَوَصَقَ بِي لَقتَ يِ هَتفِي رِطِقَ عَوَدْ ه[1].

فِي غَزْوَنِي فُرَّ المسلِمُنُ حِين باغتَهُم هوَازِنُ بالسِّهامِ وثبَت النبيُّ ﷺ وبَجْ العدوِّ وَهُوَ يقول:

أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ المطَّبْ[2].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وعَلَى نَبِيِّك مُحَمَّد ﷺ جمْعنا واسبْقِ فِي مدارِنْ كِرَامَتِه لك الشرِّ يفةِ شرَ ْبَةً هَنِيئةً لاَ نَظَمأُ بَعَدَها أَبدًا.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٧٤).

(٢) انظر: أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٣/ ١٣٤١).

المجْلِسَ السابِعَ وَالْعِشْرُونَ

غَزْوةُ بَدْرٍ الكُبْرَى

في رمضانَ منَ السنةِ الثانيةِ وقعتْ غزوةُ بدرٍ الكبرى، وسببُها أنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ ومعهُ ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ رجلاً ليعترضَ عِيرًا عظيمةً لقريشٍ هي راجعةٌ منَ الشامِ وكانَ أبو سفيانَ قائدُها القافلةَ في غايةِ القلةِ والحزنِ، فكانَ يسألُ كلَّ منْ لقيَهُ عنْ تحركاتِ المسلمينَ، حتى علمَ بخروجِهمْ منَ المدينةِ وهوَ قريبٌ منْ بدرٍ، فحولَ اتجاهَ العيرِ إلى الغربِ ليسلكَ طريقَ الساحلِ، وتركَ طريقَ بدرٍ المخوفَ بالخطرِ، ثمَّ أرسلَ رجلاً ينذرُ أهلَ مكةَ بأنَّ أموالَهمْ في خطرٍ وأنَّ المسلمينَ قدْ استعدُّوا للهجومِ عليها للقتالِ.

فلمَّا بلغَ أهلَ مكةَ ذلكَ هبُّوا لنجدةِ أبي سفيانَ لمَّا

يتخلَّفْ من بركائهم إلا أولو لهب، وحشدوا من حولهم من القبائل، ولم يتخلَّف من بطون قريش إلا بنو عدي.

ولما وصل نبأ الجيش إلى الجحفة اجتمعوا بأبي سفيان وأنه يطلب منهم العودة إلى مكة.

وهمَّ الملأ بالرجوع إلا أن أبا جهل حثَّهم على المضي قُدُمًا، فرجع بنو زهرة وكانوا ثلاثمائة، وواصل البقية المسير وكانوا ألفًا حتى نزلوا خارج بدر في مكان فسيح وراء الجبال المحيطة ببدر.

أما رسول الله ﷺ فاستشار أصحابه، فوجد منهم العزم والتصميم على القتال، وأعلنت أن سبيل الله على سرف، فسُرَّ رسول الله ﷺ وقال لهم: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد

وعَلَيَّ إِحْدَى اللَّيِّنَفْتَ ، وَ اللهِ لَكَيَّ أَنْظُرُ الآنَ لِي صَارِعِ الْقَوْمِ".

وَقَامَ النبيُّ ﷺ ونَزَلَ وبقًا مِنَ العُلْقِ الدُّفِّيِّ بَدْرٍ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَنْ يتقدمَّ فينزلَ عَلَى أَقْرَبِ مَاءٍ مِنَ العدوِّ بحيث يُجمعَ لِلْمُسلمونَ الماءَ فيَحُولُ لأنفُسِهِمْ ، ويُغَوِّرُونَ بَقِيةَ الآبَارِ ، فيَبقَى العدوُّ لَا مَاءَ لَهُ، فَفَعَلَ النبيُّ ﷺ مَا أَشارَ بِهِ الحُبَابُ .

وبَاتَ النبيُّ ﷺ ليلةَ الجمعةِ وهِيَ ليلةُ بدرٍ سَابِعَ شَرَعَ مِنْ رمضَانَ قَائِمًا يُصَلِّي ويَكْبِي ويَدْعُو اللهَ ويستَنْصِرُهُ لِعَلَى أَعدائِهِ .

وفِي المسندِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالبٍ قَالَ: لَقَدْ رأيتُنَا ومَا

فِي لَيْلَةٍ لَّا تَأْذَنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُومَ فِيهَا إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي وَيَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ .

فِيهِ أَيْضًا أَنَّ أَصْحَابَهُ اشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَظِلُّوا بِهِ مِنَ الْمَطَرِ ، وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ وَيَقُولُ "لَكَ هَذِهِ الْفِئَةُ لَا تُعْبَدُ" أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ نَادَى الصَّلَاةَ عِبَادَ اللهِ" فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحِجَفِ فَصَلَّى بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى لَاقَى الْقِتَالَ .

وَأَمَدَّ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِضَرْبٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَبِجُنْدٍ مِنْ جُنُودِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ

ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩-١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

فابتدأ القتال بالمبارزة فقتل حمزة شيبة بن ربيعة وقتل علي الوليد بن عتبة وجرح عتبة بن ربيعة من المشركين وعبيدة بن الحارث من المسلمين.

ثم تدافع القتال واشتد الوطيس، وأيد الله المسلمين بالملائكة فقتلوهم وثبتت قلوبهم وملأ هيبة لا سماعة حتى تهزم المشركون وولوا الدبر، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فقتل من المشركين سبعون منهم: عتبة

وشَيْبَةُ والوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةُ وأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، وأَبِي لَهَبٍ وحَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ وغَيْرُهُمْ .

أُسِرَ مِنَ المشركين سَبْعُونَ .

وكَانَ مِنْ نَتَائِجِ غَزْوَةِ بَدْرٍ أَنْ رَفَعَتْ شَوْكَةُ المسلمين ، وأَصْبَحُوا مَرْهُوبِينَ فِي المدينة ومَا جَاوَرَهَا وازْدَادَتْ ثِقَتُهُم باللهِ تَعَالَى ، ولَعَلِمُوا أَنَّ اللهَ يَنْصُرُ عِبَادَهُ المؤمنين وَلَوْ كَانُوا قِلَّةً عَلَى الكافرين وَلَوْ كَانُوا كَثْرَةً ومِنَ النَّتَائِجِ أَيْضًا أَنَّ المسلمين اكْتَسَبُوا مَهَارَاتٍ قِتَالِيَّةً وتَعَلَّمُوا أَسَالِيبَ جَدِيدَةً فِي القِتَالِ والكَرِّ والفَرِّ وعَصَارَ العلوِّ وغَيْرِهَا مِنْ أَسَالِيبِ القُوَّةِ والاسْتِمْرَارِ فِي المُوَاجَهَةِ .

المجْلِسَ الثَّامِنَ وَالْعِشْرُونَ

غَـزْوَةُ أُحُـد

فِي شَوَّالَ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الهِجْرَةِ وَقَعَتْ غَزْوَةُ أُحُد، فَإِنَّهُ لَمَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْ قُرَيْشٍ بِبَدْرٍ، وَأَصَابُوا بِمُصِيبَةٍ لَمْ يُصَابُوا بِمِثْلِهَا، أَرَادَتْ قُرَيْشٌ الثَّأْرَ وَاسْتِعَادَةَ هَيْبَتِهِمُ الَّتِي فَقَدُوهَا، فَأَخَذَ أَبُو سُفْيَانَ يُؤَلِّبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَى المُسْلِمِينَ وَيَجْمَعُ الجُمُوعَ، فَجَمَعَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالأَحَابِيشِ، وَجَاءُوا بِنِسَائِهِمْ لِئَلَّا يَفِرُّوا، وَلِيُحَامُوا عَنْهُنَّ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِمْ نَحْوَ المَدِينَةِ، فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ.

وَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ أَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ أَمْ يَمْكُثُ فِي المَدِينَةِ؟ وَكَانَ رَأْيُهُ أَلَّا يَخْرُجُوا مِنَ المَدِينَةِ، وَأَنْ يَتَحَصَّنُوا

بها، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون، وكان من جماعة من ظُلَّاء الصحابة أشاروا بالخروج فخرج رسول الله ﷺ فلما رآه من الصحابة وكان ذلك يوم الجمعة، فلما صار بين المدينة وأحد رجع عبد الله بن أبي المنافق بخو ثلث العسكر وقال: علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس؟ وتركهم ورسول الله ﷺ حتى لما اشتعب من أحد، وجعل ظهره إلى أحد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، فلما أصبح يوم السبت تعبى للقتال وهو في سبعمائة فيهم خمسون فارسًا.

واستعمل على الرماة -وكانوا خمسين- عبد الله بن جبير، وأمره وأصحابه أن يلزموا مركزهم، ولا يبرحوه، ولو رأى الطير تتخطف العسكر، وكانوا خلف الجيش، وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من

ولأَهِمْ .

وبَدأَلقِتَالُ وكَانصَرالنَّصْرُ أَوَّلَ لِلَّهِ للمسلمْينَ لِعَ الكفَّ ، فَانهزامَشَرْكُونَ ،ووَلَّوا مُدْبِرينَ حَتَّى انتهَوْا إلى نسائِهِم، فَلَمَّا رَأَى الرُّماةُ هَزِيمَتَهُمْ تركُوْا مَركزهُمْذالَّي أمرَهُمُ رسَولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِهِ وَقَالُوا: يَا قَوْمِ! الغنيمةَ ، فذكَّرَهُمْ أميرهُم عهَدَوَسولِ اللهِ ﷺفلَمْ يسمعُوا وَظَنُّوا أَنْ ليسَ للمُشْرِكينَ رَجْعَةٌ ، فَوَلَّبَعْضِي طَلَبِ الغنيمةَ ،أَخَذُوا الثَّغْرَكرَّ فرسَانُالمُشْرِكينَ فَوَجَدُوا الثَّغْرَخاليًا مِنَالرُّمَاةِ ، فجاوزُا مِنْهُ وقَكَوَّنُا حَتَّى أَقْبَلَ آخرُهم، فَأَحاطُوا بِالمُسْلِمِينَ ، أَكْرَمَ اللهُ من أَكْرَمَ مِنْهُمْ بالشَّهَادَةِ ، وَقُتِلَ الصحَابةُ ، وخلَصالمشرِكُونَإِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَرَحُوا

وجهه، وكروا راجعين إلى المشركين، وهشموا البيضة[1] على رأسه، ورمى طلحة حتى وقع لشقه وسقط حرقة من الخوذة التي كان أبو عامر الفاسق كاد يلبسها للمسلمين، فأخذ علي بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله فقتل مصعب بن عمير بين يديه، فدفع اللواء إلى علي بن أبي طالب، ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح، وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم عن وجنته، وأوكأ كسر رباعيته على ما يزعمون بعض الناس، فعلا دونه نفر من المسلمين فحشرعة حتى قتلوا، ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه، وترس أبو دجانة عليه بظهره، والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك، ولأبي طلحة يومئذ يرمي

(١) البيضة: واحدة البيض من الحديد.

قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ بِيَدِهِ، فَكَانَتْ أَصَحَّ عَيْنَيْهِ وَأَحْسَنَهُمَا.

وَصَرَخَ الشَّيْطَانُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، وَقَعَ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَرَّ أَكْثَرُهُمْ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا.

وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَحْوَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ تَحْتَ الْمِغْفَرِ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَبْشِرُوا هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ اسْكُتْ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَنَهَضُوا مَعَهُ إِلَى الشِّعْبِ الَّذِي فِيهِ وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَالْحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ الْأَنْصَارِيُّ وَغَيْرُهُمْ، فَلَمَّا اسْتَوَوْا إِلَى الْجَبَلِ أَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَعْلُوَ الْجَبَلَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِثِقَلِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْحَدِيدِ، فَجَلَسَ طَلْحَةُ تَحْتَهُ حَتَّى عَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّخْرَةَ فَاسْتَوَى عَلَيْهَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَضَى طَلْحَةُ مَا عَلَيْهِ وَفَاءً وَزِيَادَةً، فَلَمَّا اسْتَوَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الصَّخْرَةِ فَجَاءَتْهُ فِكْرَةٌ فَكَرَّ إِلَى مَوْقِفِهِ مُنْهَزِمًا ثُمَّ مَاتَ فِي

رطيق للعوة دَ إلى مكَّة.

وغسل النبي ﷺ اللمَّ عن وجهه، وصلى جسًا لما به من الجراح وقي حنظلة وكان جنمُ امرأة فلما سمع النِّداء أجاب قي أن يغتسل، فغسلته الملائكة وقي المسلمون لهل لواء المشركين وقلتك أمُّ سارق هي نسيبة بت كعب المازنية قتالاً شديدًا يطوف بها عمرو بن مقئة بالسيف فجرحها جراحًا شديدًا.

وكان عدد من قتل من المسلمين سبعين رجلاً ونيفًا، وقل من المشركين ثلاثة عشر ون وقد ملت ريش بقي المسلمين تتميلاً فجيعًا.

وم نَّ قتل من المسلمين حمزة عم الرسول ﷺ[1].

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ١٩٢)، وما بعدها. ولباب الخيار في سيرة المختار ص(٦٤).

المجْلِسَ التِاسّعَ وَّالْعّشُرُونَ

الدُّروسُ المسْتَفادَةُ مِن وَقْعَةِ أُحُدٍ

ذَكَرَ ابْنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ كتاب الزَادَ المعَادَ جزءًا من الحِكَمِ البالغةِ المحمُودَ المستفادَةِ من غزوةِ أُحُدٍ وهي:

أَوَّلاً يتَوَقَّعُ المؤمنونَ عاقبةَ الطاعةِ، والفشَلَ، والتَّنَازُعِ، والتَّنَازُلَ الَّذي أَصَابَهُمْ إِنَّمَا هُوَ بِشُؤْمِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] فلما ذاقُوا مَعْصِيَةَ الرَّسُولِ وَتَرْكَ

وفشلَهم، كانُوا بعدَ ذلك أشدَّ حذرًا ويقظةً.

ثانيًا: أنَّ كلمةَ اللهِ وسُنَّةَ رسُولِه وبأنَّهم جرَتْ بأنْ يُداوِلُوا مرَّةً ويَدِيلَ عليهم أخرى بأنْ تكونَ لهم العاقبةُ، إنَّهم لو اختَرعُوا لأنفسِهم دخَل معَهمُ المؤمنون وغيرُهم، ولم يتميَّزِ الصادقُ من المبطِلِ.

ثالثًا: أنْ يتميَّزَ المؤمنُ الصادقُ من المنافقِ الكاذبِ، إنَّ المسلمين لما أظهرَهمُ اللهُ عليهم يومَ بدرٍ، وطرَحَ لهمُ الصيِّتُ دخَل معَهمُ الإسلامَ مظهرًا من ليس معَهمُ فيه باطنًا، اقتضَتْ حكمةُ اللهِ عزَّ وجلَّ سلَبَ عبادِه محنةً ميَّزَ بينَ المؤمنِ والمنافقِ، فأطلَعَ لنا في قلوبِ رؤوسِ هذه الغزوةِ، وتكلَّموا بما كانُوا يكتُمونَه وعرَفَ المؤمنُون أنَّهم وعَدُوِّ نفسِ دورِهم، فاستعدُّوا لهم وتحرَّزُوا منهم.

رابعًا: استخراج بعض الأمثلة على الرزق في السراء والضراء فيما يحبون وما يكرهون في حال ظفرهم وظفر أعدائهم إذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقًّا.

خامسًا: أن سبحانه قد زانهم بما وأظفرهم بعدو في كل موطن وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدًا لطفًا منه بهم وشمخ وارتفع لا يطمح إليه السراء والضراء والشدة والرخاء.

سادسًا: أنه إذا امتحنهم بالنكسوة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا فاستوجبوا منه العز والنصر.

سابعًا: أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين مازل في

كرامَته، لم تبلُغْها أعمالهُمْ لو لَمْ يكُونوا بالغِيها إلا بالابتلاءِ والمِحْنَة، فقيَّض لهم الأسبابَ التي توصِّلهُم إليها من الابتلاءِ والامتحانِ.

ثامنًا: أنَّ النُّفوسَ تكتسِبُ من الفيءِ القِمَّة، ومن النَّعيمِ والغِنى طُغْيانًا ورُكونًا إلى العاجلة، ولذلك فإنَّ من رحمةِ الله واللُّطفِ به أن يعوقَها عن جِدِّ السَّيرِ إلى الله واللُّحوقِ بالآخرة، إذا أرادَ بها ربُّها كرامتَه، فيمنعُها من الابتلاءِ والامتحانِ ما يكونُ دواءَ ذلك المرضِ، فيكونُ ذلك البلاءُ والمِحْنةُ بمنزلةِ الطِّبِّ السِّياقي العليلَ الدَّواءَ الكريهَ ويقطعُه العوقَ المؤلمَ لاستخراجِ الأذى منه، ولو تركَه لغلبَ الأهواءُ حتى يتمكَّنَ فيها الداءُ كلُّه.

تاسعًا: أنَّ الشَّهادةَ مدَى من أعلى مراتبِ الأولياءِ، والشُّهداءُ هم خواصُّ المقرَّبين من عبادِه، وليس بعد درجةِ

الصديقية إلا الشهادة لا سبيل إلى نيلها الوجهة إلا بتقرير الأسباب المطلوبة إليها من استئصال العدو.

ثانيًا: أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، من أعظمها بعد كفرهم: بغيهم وطغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم وقتالهم، والتلطخ عليهم، فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم ويزداد بذلك أعداؤه من الأسباب التي تحتهم وتهلكهم[1].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢١٨ – ٢٢٢) باختصار.

المجلس الثلاثون

رفق النبي ﷺ بأمته (١)

كان النبي ﷺ يقدر بأمته، فلم يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، رغبة في رفع الحرج عنها، لذلك قال ﷺ: «إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا ولكن بعثني معلمًا ميسرًا» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «إن الله لم يكتب الرفق على أهل بيت ويحرمهم عليه إلا كتب لهم الخير» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

وقال ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه» [رواه مسلم].

وقد وصف الله نبيه ﷺ بالرأفة والرحمة فقال: ﴿

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوبة: ١٢٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله!

قال: "وما أهلكك؟".

قال: وقعت على امرأتي في رمضان.

قال: "فهل تجد ما تعتق رقبة".

قال: لا.

قال: "فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟".

قال: لا.

قال: "فهل تجد ما تطعم ستين مسكينًا".

قال: لا.

قال: ثم جلس فأُتي النبي ﷺ بعرق[1] فيه تمر، فقال: "تصدق بهذا".

قال الرجل: أعلى أفقر منا؟ فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: "اذهب فأطعمه أهلك". [متفق عليه].

فانظر إلى رفق النبي ﷺ بهذا الرجل المخطئ الذي وقع على أهله في نهار رمضان، إذ إن النبي ﷺ ما زال يرفق به ويتدرج معه من العقوبة الأشد إلى العقوبة الأخف، حتى وصل به الحال إلى أن أعطاه ما يكفِّر به عن خطئه، إن

(١) العرق: الزنبيل أو القفة.

سمحَ لهُ بأنْ يأخذَ هذه العطيةَ طيبةً بها أهلُ غزةَ الحاجةَ وفقرَه، فما أعظمَ هذا الرِّفقَ النبويَّ، وما أجملَ هذه الرأفةَ المحمَّديةَ.

وهذا معاويةُ بنُ الحكمِ السُّلَميُّ رضي الله عنه يقول: بينما أنا أُصلِّي معَ رسولِ الله ﷺ إذ طَسَ جارٌ من القومِ، فقلتُ: يرحمُكَ اللهُ، فرماني القومُ بأبصارِهم، فقلتُ: واثُكْلَ أُمِّياه! ما شأنُكم تنظرونَ إليَّ؟ فجعلوا يضربونَ بأيديهم على أفخاذِهم، فلما رأيتُهم يصمِّتونني لكني سكتُّ، فلما صلى النبيُّ ﷺ فبأبي هو وأمِّي، ما رأيتُ معلِّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تعليمًا منه، فوالله ما كهرني[1] ولا ضربني ولا شتمني، قال: إنَّ هذه الصلاةَ لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلامِ

(١) كهرني: نهرني.

النَّاس، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ" [وَاهُ مُسْلِمٌ].

قَالَ النووي: "فِيهِ: مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عَظِيمِ الْخُلُقِ الَّذِي شَهِدَ اللهُ تَعَالَى لَهُ بِهِ، وَهُوَ الْجَاهِلِ، وَالرِّفْقِ بِهِ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِ، وَفِيهِ التَّخَلُّقُ بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرِّفْقِ بِالْجَاهِلِ، وَحُسْنِ تَعْلِيمِهِ، وَالْلُّطْفِ بِهِ، وَتَقْرِيبِ الصَّوَابِ إِلَى فَهْمِهِ".

وَمِنْ رِفْقِ النَّبِيِّ ﷺ بِأُمَّتِهِ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ خَشْيَةَ أَنْ يَضْعُفَ عَنْهُ بَعْضُ النَّاسِ.

وَمِنْ رِفْقِهِ النَّبِيِّ ﷺ بِأُمَّتِهِ أَنَّهُ صَلَّى قِيَامَ رَمَضَانَ فِي الْمَسْجِدِ ثَلَاثَ لَيَالٍ أَوْ أَكْثَرَ، حَتَّى اجْتَمَعَ خَلْفَهُ نَفَرٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ بَعْدَ ذَلِكَ خَشْيَةَ أَنْ يَضْعُفَ عَنْهُ بَعْضُ النَّاسِ.

هو من رفق النبي ﷺ بأمته أنَّه دخل المسجد، إذا حبلٌ ممدودٌ بين ساريتين. فقال: "ما هذا الحبل؟" قالوا: هذا حبلٌ لزينب، إذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: "حُلُّوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه، إذا فتر فليقعد" [متفق عليه].

المجْلِسَ الوَاحِدَ وَالثَّلاثُونَ

رِفْقُ النَّبِيِّ ﷺ بأمَّتِه (٢)

لا َ لَ الحديث مُوَصْولاً عَنْ رِفق النبي ِّ ﷺ بأمَّ ه.

عَنْ أَنَس بْنِ مالِكَ رضي الله عنه عَنِ النبي ِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ في المسْجِد مع رَسُولِ الله ﷺ إذْ جَاء أعرابيٌّ فَقَام يبُولُ في المسْجِد، فَقَالَ أصحاب ُ رَسُول ِ الله ﷺ مَهْ مَهْ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ "دَعُوهُ لا َ تُزْرِمُوهُ[1]" فتركُوه حَتَّى بال.

ثُمَّ إِنَّ رسول َ الله ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِه المساجِد لا َ تصلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذَا البَوْلِ وَالْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ

---

(١) لا تزرموه: أي لا تجعلوه يقطع بوله لئلا يتضرر.

ولَجَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ ".

قالَ فأمر رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فجلَدَهُ مِائَةً فشنَّه عَليه.

[تُفَّ عليْ].

هَذَا نَصُّ رِوَايَةِ الرفقِ المحمَّدِيِّ أَنَّ فتًى شَابًّا أَتَى النبيَّ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! ائذَنْ لِي بالزِّنَا!!

فَبَقِيَ عَلَيْهِ القومُ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا لَهُ مَهْ فقَالَ النبيُّ ﷺ: "ادْنُهْ" فَدَنَا مِنْهُ قريبًا.

قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ"؟

قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ أَتُحِبُّ ذَلِكَ لِابْنَتِكَ"؟".

قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: "أَلَا النَّبِيُّ بِوُلَةِ لِبَتِهِمْ أُخْتِ بِالْأُخْتِ؟".

قَالَ: لَا وَاللهِ جَلَنِي اللهُ فِدَاكَ.

قَالَ: "أَلَا النَّبِيُّ بِوُلَةِ خَلَتِهِمْ أُخْتِهِ بِعَمَّتِهِ؟".

قَالَ: لَا وَاللهِ جَلَعَنِي اللهُ فِدَاكَ.

قَالَ: "أَلَا النَّبِيُّ بِوُلَةِ بِنْتِهِمْ أُخْتِهِ بِخَالَتِهِ؟".

قَالَ: لَا وَاللهِ جَلَغَنِي اللهُ فِدَاكَ.

قَالَ: "أَلَا النَّبِيُّ بِوُلَةِ بِلَاتِهِمْ"، ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. [رواه أحمد].

بهذا الأسلوب الرفيق استطاع النبيُّ ﷺ أن يدخل إلى قلب هذا الشابِّ ويجعله يستقبح ما طلبه إلا نزْع بالزِّنا،

وكان ذلك سببًا في صلاح هذا الشاب واستقامته وعفته.

ومن رقى النبي ﷺ ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: "مروه فليتكلم، وليستظل وليقعد وليتم صومه" [رواه البخاري].

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أخبر النبي ﷺ أني أقول: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت. فقال رسول الله ﷺ: أنت الذي تقول ذلك؟ فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: "إنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل

صيام الدهر".

وفي رواية: "ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟" قلت: بلى يا رسول الله! قال: "لا تفعل، صم وأفطر، ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، وإن بحسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر" قال: عبد الله: فشددت فشدد علي. قلت: يا رسول الله إني أجد قوة. قال: "صم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه" قلت: ومَا كان صيام داود؟ قال: "نصف الدهر" فكان عبد الله يقول بعد ما بركني: قبلت رخصة رسول الله ﷺ. [متفق عليه].

المجْلِسَ الثَّانِي وَالثَّلاثُونَ

غَزْوةُ الأحْزَابِ

فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الخَامِسَةِ لِلهِجْرَةِ وَقَعَتْ غَزْوَةُ الأَحْزَابِ المعروفةُ بـ"غَزْوَةِ الخَنْدَقِ".

وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الغَزْوَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَجْلَى يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ عَنِ المَدِينَةِ لِمَحَاوَلَتِهِمْ قَتْلَ النَّبِيِّ ﷺ، خَرَجَ نَفَرٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ إِلَى مَكَّةَ، وَأَخَذُوا يُحَرِّضُونَ قُرَيْشًا عَلَى غَزْوِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيُؤَلِّبُونَهُمْ عَلَيْهِ، وَوَعَدُوهُمْ بِالنَّصْرِ، ثُمَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَجَابَتْهُمْ قُرَيْشٌ، وَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ عَلَى قِتَالِهِ، ثُمَّ خَرَجُوا فِي غَطَفَانَ وَبَنِي سُلَيْمٍ فَدَعَوْهُمْ فَاسْتَجَابُوا لَهُمْ، ثُمَّ طَافُوا عَلَى القَبَائِلِ العَرَبِ يَدْعُونَهُمْ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فخرجَتْ قريشٌ في أربعة آلاف مقاتل، بقيادة أبي سفيانَ، وقادوا معهمْ ثلاثمائة فرس وألفًا وخمسمائة بعير، ووافتهم بنو سليمٍ بمر الظهران وهمْ سبعمائة، وخرجتْ معهم بنو سُلَيْمٍ وخرجتْ فزارة وهم ألف، وخرجت أشجعُ وهم أربعمائة وخرجتْ بنو مرة وهم أربعمائة أيضًا وكان جميعُ من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف وهمُ الأحزابُ.

فلما بلغ رسولَ الله ﷺ وصولهم من مكةَ نَبَ النبيُّ، فشاور سلمانُ الفارسيُّ بحفر خندقٍ يحولُ بين العدو وبين المدينة، فأمر به رسولُ الله ﷺ، فبادر المسلمون إلى حفره، واشترك رسولُ الله ﷺ في حفره بنفسه، وكان حفرُ الخندق أمامَ جبلِ سلعٍ، حيثُ جعل المسلمون الجبل خلفَ

ظُهُورِهِمْ، والخَنْدَقُ بينهم وبين العَدُوِّ.

وَفَرَغَ المسلمون من حَفْرِ الخندق في ستة أيام، فخَصَّنَ النبيُّ ﷺ ومَنْ معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف بالجبل من خلفه، وبالخندق أمامهم.

وأمَرَ النبيُّ ﷺ بالنِّساء والذَّراري، فجُعِلُوا في آطام المدينة.

وانطلق حُيَيُّ بنُ أخطب إلى بني قُرَيْظَةَ وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهدٌ لم يزل الخيث بهم، حتى نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ ودخلوا معسكر كثير في حرب رسول الله ﷺ. واشتدَّ البلاءُ بالمسلمين ونجم النِّفاقُ، واستأذن نفرٌ من بني حارثة رسول الله ﷺ العودة إلى المدينة

وَقَالُوا: ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٣]، وهَمَّ بَنُو سَلمةَ بالفشلِ ، ثُمَّ ثبَّتَ اللهُ الطائفتينِ .

عنِ البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما قالَ لمَّا أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ بحفرِ الخندقِ عرضَتْ لنا في بعضِ الخندقِ صخرةٌ عظيمةٌ شديدةٌ لا تأخذُ فيها المعولُ ، فشكوْنا ذلكَ إلى النبيِّ ﷺ، فجاءَ رسولُ اللهِ ﷺ فلمَّا رآها ألقى ثوبَهُ وأخذَ المعولَ وقالَ : بسمِ اللهِ ثمَّ ضربَ ضربةً فكسرَ ثلثَها وقالَ : "اللهُ أكبرُ ، أعطيتُ مفاتيحَ الشامِ واللهِ إني لأبصرُ قصورَها الحمرَ الساعةَ"، ثمَّ ضربَ الثانيةَ ، فقطعَ ثلثَها الآخرَ وقالَ : "اللهُ أكبرُ ، أعطيتُ مفاتيحَ فارسَ واللهِ إني لأبصرُ قصرَ المدائنِ الأبيضَ من مكاني هذا"، ثمَّ ضربَ الثالثةَ وقالَ : بسمِ اللهِ فقطعَ بقيةَ

الحجرَ وقالَ : "اللهُ أكبرُ، أُطْعِيتُ مفاتيحَ اليمنِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، طوبى لأعرابٍ صدقوا من ملكَ هذه الساعةَ".

وأقامَ رسولُ اللهِ ﷺ بها ولم يكنْ بينهم قتالٌ لأجلِ ما حالَ اللهُ من الفتنِ بينهم وبينَ المسلمينَ.

وقالَ علماءُ السيرِ: كانَ اشتدادُ الخوفِ يومَ الفتنِ، فشلَ اللئامُ، وخافَ على الذراري والأموالِ، وطلبَ أن يكونَ ضيقًا من الفتنِ يقدمونَ به خيلَهم، فإذا هم جماعةٌ، منهم عمرُو بنُ ودٍّ، فجعلَ يدعو إلى البرازِ وهو ابنُ سبعينَ سنةً، فبارزَ عليٌّ فقتلَه.

فأصبحوا، فجمعوا كتيبةً عظيمةً فيها خالدُ بنُ الوليدِ، وقاتلوا إلى الليلِ، فوصلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى ظهرًا ولا صرعًا، فقالَ: شغلونا عن الصلاةِ الوسطى، ملأ اللهُ بيوتَهم

وَقُوُرَهُمْ لَمَرًا"، ثُمَّ إِنَّ عَزَّاللَّهَوجل َ نصعأمرًا م ِعْدِنْه خذَّل به العدوَّ وَرَفَّقَ بِه جمُوعهَمْ وذلك َأَنْنُعَيْمَرَادْمسعود كانَ قَدأسلم، ولمَ ْيعَلْلَمشر ْكُونلاَ اليهودبإِسلاْمَه ،فَمَشَى بَينَ قُيش وقَريْظةَ فَخذَّل بيَنهُمْ .ثُمَّ هبَّت ريح ٌشَدَ يدةٌ، فقَلَ أَبَسُفيانلأَصحْابَه إِ نَّكُمْ لَسَتُمْ بدار مُقَام، قَد هلَكَ الخف ُّ والحَفَرُ، واختلفتْ قريظةُ ولقينا م َنالرِّيح ما تروْنَ، تحَوَّ لُوا فيِّ تحُوْل ٌ وترَقَمَ المشَرْ كينوَمئَذ ٍ ثَلاثةٌ وَ نَ المسلْمِ ينَ تَّةٌ"[1].

(١) انظر "الوفا بأحوال المصطفى" ص(٧١٣، ٧١٤)، وزاد المعاد (٣/ ٢٦٩ – ٢٧٥).

المجْلِسَ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ

عَدْلُ النبيِّ ﷺ

جاءَ الإسلامُ بالعدلِ المطلقِ، كما في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

وقولِه: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

ومِن صُورِ عُمومِ العدلِ النبيِّ ﷺ أنَّ امرأةً مِن بني مخزومٍ سَرَقَتْ، فأهَمَّ قُرَيْشًا شأنُ المرأةِ، وأرادُوا أن يتوسَّطوا عند النبيِّ ﷺ في الحدِّ عنها، فقالُوا: مَنْ يُكلِّمُ فيها رسولَ الله ﷺ؟ قالُوا: ومَنْ يَجترِئُ عليه إلا أُسامةُ بنُ زيدٍ حِبُّ رسولِ الله ﷺ، فكلَّمَه أُسامةُ فيها رسولَ الله ﷺ، فكلَّمَه أُسامةُ

بْنُ زَيْدٍ، تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟" فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ!

فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاخْتَطَبَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا" [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

هَذِهِ هِيَ العَدَالَةُ النَّبَوِيَّةُ الَّتِي لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ، أَوْ بَيْنَ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، أَوْ بَيْنَ حَاكِمٍ وَمَحْكُومٍ، فَالكُلُّ فِي مِيزَانِ الحَقِّ وَالعَدْلِ سَوَاءٌ.

وَمِنْ صُوَرِ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:

أَعْطِنِي أَبِي عَطِيَّةَ، فَقَالَتْ أُمُّهُ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى يُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ لَا، قَالَ: فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ فَرَجَعَ بَشِيرٌ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ. [متفق عليه].

وفي رواية قال: أَلَكَ بَنُونَ سِوَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكُلُّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ هَذَا؟ قَالَ لَا، قَالَ: فَلَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ [متفق عليه].

وجاء ذُو الخُوَيْصِرَةِ التميمي والنبيُّ ﷺ يقسم الأموال، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ"

متفقٌ عليه] فهو ﷺ الذي فضَّله الله تعالى وعدَّله وأثنى عليه على وجهٍ، فكيف لا يعدل، وكيف لا يثق؟ وهو القائل: **إن الله عز وجل أمرني أن أعدل بين فلان وفلان، وأن أعدل بين أهلي وأن أعدل بين الناس**" [رواه مسلم].

وأما العدل بين الزوجات فقد كان النبي ﷺ يقوم به حق القيام حيث كان يقسم بين نسائه ما يقدر عليه قسمة من بيت ونفقة ونحو ذلك بالقسط التام سفرًا وحضرًا، يبيت عند كل واحدة ليلة، فيوفي على كل واحدة في يده بالسوية، وبنى لكل واحدة حجرة، وإذا سافر أقرع بينهن، وخرج بالذي تخرج لها القرعة ولم يفرق في شيء من ذلك، حتى في مرض موته، حيث كان يدار به على نسائه، كل واحدة في نوبتها، ولما شق عليه ذلك وعلم من نفسه أنه يحب أن يقيم في بيت عائشة –

ضيرَ اللهُعنهنُّ كُلِّهِنَّ-له في أن يُمَرَّض في بيتها، فمكَثَ فيه حتَّى أتاه قُلبَين، ومَعلِكَ العلالذاليِّ كانَ يَقُومُ به معهنَّ كانَ يعْتَرِ إلى اللهتَلَى ويَقُلُ: **اللهمَّ هذا قمَي فيما أَلَمْكُ، فلاَ تَلُمِّي فيما تَلَكُ لاَ أَلَمْكُ**[1]" [رواه أبوداود والترمذيُّ].

وحَذَّر النَّبيُّ ﷺ نَ الميْلِ إلى إحْدَى الزَّوْجَتَ لِعَ حسابَ الأخرَى، فقَلَ عليه الصلاةُوالسَّلامُ: **مَنْ كَتْ لهُ امرْأَتَ فَلَ إِحلْهُمُ اءجاءَ يَولْقِيَمَ شِوَقُّهُمَائِلٌ**" [رواه مسلم].

(١) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٣/ ١٢٧١).

المجْلِسَ الرابِعَ والثَّلاثُونَ

مَكائِدُ اليَهودِ ومَواقِفُ النَّبيِّ ﷺ منْهُمْ

ذَكَرْنا أنَّ النَّبيَّ ﷺ وادَعَ مَنْ بالمدينةِ من اليهودِ، وعَقَدَ معَهُمْ مُعاهَدةَ عدمِ اعتداءٍ، إلَّا أنَّهُمْ ظَلُّوا تَنْكُثُ المعاهَدةَ سِرًّا وجَهْرًا، وبَدَؤوا يُرْسِلُونَ ما اشْتَهَرُوا به من نَبْذِ المواثيقِ، وسَنَجِ المكائدِ والمؤامراتِ.

فمِنْ مكائدِ يهودَ بَنِي قَيْنُقاعٍ أنَّهُمْ استغلُّوا انْشِغالَ النبيِّ ﷺ مَعَ المسلمينَ في غزوةِ بدرٍ، فحَسَّنَ بعضُهُمْ بامْرأةٍ مُسْلِمةٍ، وكَشَفُوا عَنْ جِدارِها أمامَ المَسْرَقِ السوقِ، صرخَتِ المرأةُ، فثارَ رجلٌ مِنَ المسلمينَ وقَتَلَ اليهوديَّ،

فَجمَّع لهيعَ اليهودُ فقتلُوه، وعَادَ النبيُّ ﷺ نْ بَدْرٍ، واسْتدعى اليهودَ يسألهم عمَّا وقعَ نْ لابَ شروٍ، فأغْلَظُوا لَه في الكلَامِ، ثمَّ أَسَرُّوا ورقةَ المعاهدةِ واستعدُّوا لنقضِها، فحاضَرَهُمُ النبيُّ ﷺ فلمَّا رأوا أنَّهم لا قِبَلَ لهم بمحاربةِ المسلمينَ سألُوا النبيَّ ﷺ أنْ يخلِّيَ سبيلَهُمْ على أنَّ لَه الأموالَ، ولَهم الذريةَ والنِّساءَ، ففَعَلَ مِنْهُمْ، وطردَهُمْ نَ المدينةِ وأخذَ المسلمونَ حصنَهم سلاحًا وآلةً كثيرةً.

أمَّا يهودُ بَني النَّضيرِ، فقَدْ نقضُوا العهْدَ وحاولُوا قتْلَ النَّبيِّ ﷺ في السنةِ الرَّابعةِ للهجْرةِ، خرَجَ النبيُّ ﷺ إلى بَني النَّضيرِ يستعينُهم في دِيَةٍ، إذْ كانَ بينَهم مَنْ قتَلَ خطأً، ويأتمرُونَ بقتْلِه؛ بأنْ يقومَ عمْرُو بْنُ جحَّاشٍ بإلقاءِ

الرَّحَى على النبي ﷺ.

فأتى رسولُ الله ﷺ الخبرُ من السماء، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة.

ثُمَّ عاقبهم النبيُّ ﷺ بإجلائهم عن المدينة إلى خيبر، فخرجوا وقد حملوا ما تاعهم على ستمائة بعير، فهلموا بيوتهم بأيديهم، وخرجوا إلى خيبر.

أما يهود بني قريظة فقد تقدم نبأهم نقضوا العهد، وتحالفوا مع المشركين والأحزاب على قتال رسول الله ﷺ في الخندق، فلما خذل الله الأحزاب وفرق جمعهم صوافن فوا، خرج النبيُّ ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين إلى بني قريظة فحاصرهم

وَضَنَّ عليهِمْ، فَطَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إلى القُرَظِيِّ أن يَحْكُمَ فيهم بأنْ تُقْتَلَ الرِّجالُ القادرونَ على القتالِ، وتُسبَى النِّساءُ والذُّرِّيَّةُ، وتُقسَّم أموالهُم، فَثَبَتَ أخلاقُ الرِّجالِ، واستثْنَى بعضهُم مِنْ هذا الحكمِ.

وهذا الحكمُ هو الذي اختارَهُ اليهودُ لأنهم طَلَبُوا أنْ يحكُمَ فيهم سَعْدُ بنُ مُعاذٍ ظنًّا مِنهم أنَّه سوفَ يَمِيلُ إليهم، لعلاقتِهم معَ الأوسِ. وكذلكَ فقدْ كانَ اليهودُ يُعامِلونَ سرايَاهُمْ بأكثرَ مِنْ ذلكَ، وقدْ وَرَدَ في سِفرِ التَّثْنِيَةِ في سِفرِ العددِ، الإصحاحِ (٣١/ ٦-٣٥) ما يلي: "وسَبَى بنُو إسرائيلَ نساءَ مِديانَ وأطفالَهُمْ ونهائمَهم وجميعَ مواشيهم وكلَّ أملاكِهم، وأحرقُوا جميعَ مُدُنِهِمْ بمساكنِهِمْ وجميعَ

حصونهم بالنار وسخط موسى وبقي: هل أبقيتم كل أنثى حية؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الأطفال من سلالة واللاتي لم يعرفن مضاجعة ذكر، أبقوهن لكم لحياتهن "ومعاذ الله أن يحكم موسى عليه السلام هذه الإبادة الجماعية، وكذلك هكذا حرفوا التوراة وكان حكمهم في سراة هم[1].

(١) انظر: "رحمة للعالمين" ص(١٢٥، ١٢٦)، ولباب الخيار ص(٥٩، ٦٧، ٧٣).

المجْلِسَ الخَامِسَ والثَّلاثُونَ

لماذا شُرِّع القتالُ؟

إن النبي ﷺ لم يكن معه سيف يضرب به أعناق الناس لإرغامهم على الدخول في الإسلام، فالقرآن واضح أشد الوضوح في رفض هذا المبدأ، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقال: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

وكل من هذا يعني أن تقف الدولة مكتوفة الأيدي تجاه الاعتداءات الحالية والخارجية، فقد أذن الله تعالى لأهل الإيمان أن يدفعوا عن أنفسهم وأن يأخذوا حقهم بقدر مظلمتهم دون زيادة أو اعتداء.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا

ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾ [البقرة: ١٩١].

وهذا يبين أن طلب مشروعية القتال في الإسلام هو للدفاع عن النفس وحماية الأمم من الاعتداء والموت والفتك الداخلي والخارج، وإذا نظرنا إلى تاريخ القتال في الإسلام تأكدت لنا هذه الحقيقة، إذ إنه لما ازداد طغيان أهل مكة بعد أن ائتمروا على قتله ﷺ على الخروج من مكة لجأ النبي ﷺ بعد أن ائتمروا على قتله، فكانوا هم البادئين بالعداء للمسلمين حيث أخرجوهم من ديارهم بغير حق، فبعد الهجرة أذن الله للمهاجرين بقتال المشركين كي تقوى شوكة الإسلام في سوق الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ

﴾ ...وبذلك لم يكن الرسول ﷺ خاصًّا لقريش دون سائر العرب .

لما تمالأ جميع المسلمين على غزو أهل مكة عشرة آلاف كي العرب ، واتحدوا عليهم مع الأحزاب ، أمر الله تعالى المشركين كافة بقوله في سورة التوبة : ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [التوبة: ٣٦].

وبذلك صار الجهاد واجبًا على كل من سلم له كتاب من الوثنيين وهذا مصداق قوله عليه الصلاة والسلام : **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**".

ولما وجد المسلمون من اليهود خيانة لليهود ، حيث إنهم ساعدوا المشركين في حروبهم أمر الله تعالى بقتالهم بقوله

سوق الأنفال: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

قوله: لهم واجب حتى يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ليأمن المسلمون غدرهم[1].

وكذلك الضال لم يبلغه النبي ﷺ فإنه معذور، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الضال فلم يقل أحد منهم، حتى أرسل رسله بعد صلح الحديبية إلى جميع الملك يدعوهم إلى الإسلام، فأرسل إلى صرقيه، وإلى كسرى والمقوقس والنجاشي، وإلى العرب الشرق والشام.

فلما دخل في الإسلام من النصارى وغيرهم من دخل، فقد الضال بالشام، فقتلوا من قد لم يبلغه من بركائهم

(١) نور اليقين ص(٨٤، ٨٥).

بمعان.

فالضَّارى حارَبُوا المسلمين أوَّلاً، وقتلُوا مَنْ لَمْ يُسْلِم منهُمْ بَغْيًا وظُلْمًا، وإنَّ رُسُلَه أرسَلَهُمْ يدْعُونَ النَّاسَ إلى الإسلامِ طَوْعًا لا كَرْهًا، فلَمْ يُكرِهْ أحَدًا على الإسلامِ"[1].

ولهذا فقد صار قتالُ رسولِ الله ﷺ للأعداءِ على المبادئ التالية:

١- اعتبارُ كلِّ قريشٍ محاربين لأنهم بدؤوا بالعدوان، فصار للمسلمين قتالهم.

٢- من تأوى من اليهود خيانةٌ وتآمُرٌ كنقضهم.

٣- من تعدَّت قبيلةٌ من العرب على المسلمين، أو ساعدت قريشًا وقاتلت حتى تدين بالإسلام.

---

(١) قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم ص(١٣٥، ١٣٦).

٤-لكُلُّ مَنْ بَدَأَ بعدلقَوْمَ نْأَهْالكتاب كَالضَّارَىوقُلَ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الإِسْلاَمِ أَوْ يُعْطِيَ الجزيةَ.

٥-لكُلُّ مَنْ لَمْ يَسْلَمْ فَقَدْ حَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ، الإِسْلاَمُ يَقْطَعُ مَا قَبْلَهُ[1].

(١) انظر: نور اليقين ص(٨٥).

المجْلِسَ السادِّسَ والثَّلاثُونَ

صُلْحُ الحُدَيبِيَّة

في سنةِ ستٍّ، استنفرَ رسولُ الله ﷺ العُمْرَ، أسرعُوا، فخرجَ في فئامٍ وأعمائة راكبٍ لا سلاحَ إلا سلاحَ المسافرِ؛ وهي السيوفُ في الأغمادِ، وساقَ وأصحابُه البُدْنَ، فلما علمتْ قريشٌ بجمعِ الجموعِ لتصدَّه عن البيتِ الحرامِ.

فلما سمعَ رسولُ الله ﷺ بلاةَ الخبرِ، ثم بلغَه أن مكةَ، فبركَ بهبراءِ ناقتِه، فقالَ المسلمونَ خلأتِ القصواءُ.

فقالَ ﷺ: ما خلأتْ وما ذاكَ لها بخلقٍ، ولكن حبسَها حابسُ الفيلِ، أما واللهِ لا يسألونني اليومَ خطةً فيها تعظيمُ حرماتِ اللهِ إلا

أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا".

ثُمَّ زَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ نَاقَتَهُ فَقَامَتْ، ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى أَتَى عَلَى مَاءٍ قَلِيلٍ مِنْ أَهْلِ الحُبَيْقِ، فَانْتَزَعَ لَهُمْ بِكِنَانَتِهِ فَغَرَزَهُ فِيهَا، فَجَاشَتْ لَهُمْ بِالرَّوَاءِ، حَتَّى تَوَافَوْا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّيِّ.

فَرَجَعَ البُدَيْلُ فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا، ثُمَّ بَعَثُوا عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ، فَكَلَّمَهُ بِنَحْوٍ مِنْ قَوْلِهِ، وَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أُمُورًا لَا تَمْلِكُ إِلَّا عَظَّمَتْهُ بِهِمْ مَحَبَّةً لَهُ وَطَاعَةً لِأَمْرِهِ، فَرَجَعَ فَأَخْبَرَ قُرَيْشًا بِمَا رَأَى وَسَمِعَ، ثُمَّ بَعَثُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ اسْمُهُ الحُلَيْسُ بْنُ عَلْقَمَةَ، وَبَعَثُوا بِهَدْيٍ كَرْزَ بْنَ حَفْصٍ، فَبَيْنَا هُوَ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "قَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ".

ثُمَّ حصَلَ الصلُّحُ بين الفريقِ، مع أنَّ المسلمينَ لو قاموا أعداءَهم لهلكَ لقتلِ لظفروا بهم، ولكنَّهم أرادوا الخيرَ فاغتنموا حرماتِ البيتِ، فكانَ الصلُّحُ على ما يلي:

١- أن توضعَ الحربُ بينَ الفريقينِ عشرَ سنواتٍ.

٢- أن يأمنَ بعضُهم بعضًا.

٣- أن يرجعَ النبيُّ ﷺ عنهم عامَهم هذا، على أن يخلُّوا بينَه وبينَ مكةَ العامَ المقبلَ.

٤- ألَّا يأتيه منهم رجلٌ، وإن كانَ على دينِ الإسلامِ إلا ردَّه إليهم، ولا يردُّوا إليه من جاءهم من عندِه.

٥- من أرادَ أن يدخلَ في عهدِ محمدٍ ﷺ ويرغبَ في قريشٍ دخلَ

فيه، ومَنْ أرادَ الدُّخولَ في عهدِ قريشٍ دخلَ فيه[1].

نتائجُ صُلْحِ الحديبيةِ

لقدْ ظهرَ كثيرٌ منَ الصحابةِ هذا الصُّلْحَ، ورأوْا فيه بوادرَ ملموظةً وإجحافًا بالمسلمينَ، ولكنَّهم لمسوا مع الأيَّامِ نتائجَه الطيِّبةَ وثمراتِه اليانعةَ، ومنْ ذلك:

١- اعترافُ قريشٍ بكيانِ الدولةِ المسلمةِ، فالمعاهَدةُ لا تكونُ إلا بينَ ندَّيْنِ، وكانَ لهذا الاعترافِ أثرٌ في نفوسِ القبائلِ الأخرى.

٢- دخولُ المهادنةِ في قلوبِ المشركينَ والمنافقينَ، وتيقَّنَ الكثيرُ منهم بتقلبِ الإسلامِ وقدْ تجلَّعضدُ ماظهرَ لهكفي

(١) انظر: الوفا ص(٧١٦)، ولباب الخيار ص(٨١ - ٨٣).

مبادرة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام، مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

٣- أعطت الهدنة فرصة كبيرة للإسلام وتعريف الناس به مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه.

٤- أمن المسلمون جانب قريش، فتوجهوا بكل قواهم إلى اليهود ومن كان يناوئهم من القبائل الأخرى، فكانت غزوة خيبر بعد صلح الحديبية.

٥- فأوضحت الصلح جعلت حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين ويميلون إليه، فهذا الحليس بن علقمة لما رأى المسلمين يلبون، رجع إلى أصحابه وقال: لقد رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن

المنيرة .

٦- مكَّ صلُح الحديبية النبيَّ ﷺ من تجهيز غزوة مؤتة، فكانت خطوة جيدة لنقل الدعوة الإسلامية بأسلوب آخر إلى خارج الجزيرة العربية .

٧ - عاهد صلح الحديبية النبيَّ ﷺ على إرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام .

٨ - كان صلح الحديبية تمهيدًا ومقدمة لفتح مكة[1].

(١) السيرة النبوية - الصلابي - ص(٦٨٣، ٦٨٤).

المجْلِسَ السابِعَ والثَّلاثُونَ

وفاء النبي ﷺ

الإسلامُ دينُ الوفاءِ والتزامِ العهودِ والعقودِ والمواثيقِ

قالَ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقالَ تعالَى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠].

وقالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فلا يَحُلَّنَّ عُقْدَةً ولا يَشُدَّهَا حتَّى يَمْضِيَ أمَدُهُ أوْ يَنْبِذَ إليهِمْ على سَوَاءٍ»

[رواه أبو داود والترمذي].

ولَمّا قدِمَ على النبيِّ ﷺ رسولا مسيلمةَ الكذّابِ ، فتكلّما بما قالا . قالَ ﷺ: "لولا أنّ الرسلَ لا تُقتلُ لضربتُ أعناقكما". [رواه أبوداود].

وعن مجاعة دفع النبيُّ ﷺ بالعهد مع الكذّاب ما جاء في قصة الحبيبة ، وفيها ذكر الصلح الذي أبرمه النبيُّ ﷺ مع مندوب قريش سهيل بن عمرو، وكان من بنود هذا الصلح أن أيّ رجل يأتي إلى النبيِّ ﷺ من قريش خلال مدة هذا الصلح يردُّ إليهم وإن كان مسلماً ، وبينما هم بصدد كتابة بقية بنود هذا الصلح إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين . فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ . فقال النبيُّ ﷺ: إنا لم نقض

كلا والله ما تبعد" فقال ذا لا أصالحك على شيء أبدًا. فقال النبي ﷺ: "فأجز لي" قال ما أنا بمجيز لك قال النبي ﷺ: "بلى فافعل" قال: ما أنا بفاعل فجعل أبو جندل يرسف في الحديد وقد كان جيء به يأتي المشركين أرى الشر فيهم فيزداد في دينه وقد جئت مسلمًا؟ فقال رسول الله ﷺ: "يا أبا جندل! اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، وأعطيناهم على ذلك، وأعطوا عهد الله فلا نغدر بهم" [رواه البخاري]، وذلك هو أبو بصير وهو رجل من قيش حليف لقريش، فذهب إلى النبي ﷺ فأرسلت قريش في طلبه ليرجع، فدفعه النبي ﷺ بموجب فاقية صلح الحديبية فيه هذا دليل على ما فعل النبي ﷺ واحترامه

لهود والمواثيق، حتى ولو كان ظاهر هذا العهد إجحاف بحق المسلمين.

ومن الأدلة على وفاء النبي ﷺ للكفار بالعهد ما رواه البراء أن النبي ﷺ لما أراد أن يعتمر أرسل إلى أهل مكة يستأذنهم ليدخل مكة فاشترطوا عليه ألا يقيم بها إلا ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح(١)، ولا يدعو منهم أحدًا.

فأخذ يكتب الشرط بينهم علي بن أبي طالب، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله. فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك ولتابعناك ولكن اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال رسول الله ﷺ: أنا - والله

(١) جلبان السلاح: القراب بما فيه من السيف والقوس.

-مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَأَنَا - واللهِ - رَسُولُ اللهِ" فقال لعلي: امْحُ رَسُولَ اللهِ" فَقَالَ عَلِيٌّ: واللهِ لا أَمْحَاهُ أَبَدًا.

قَالَ: "فَأَرِنِيهِ" فأراه إياه، فمحاه النبيُّ ﷺ بيده، فلما دخل ومضت الأيام أتوا عليًّا فقالوا: رُصْاحِبك فليَرْحَل، فذكر ذلك عليٌّ لرسول الله ﷺ فقال: "نَعَمْ" [متفق عليه].

وفيه أن النبيَّ ﷺ وفى لهم بما عاهدهم عليه وزيد على الثلاث.

وقال ﷺ مُحَذِّرًا من الغدر وعدم الوفاء بالوعد: "مَنْ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ، فَإِنَّهُ يَحْمِلُ لِوَاءَ غَدْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا" [رواه النسائي وصححه الألباني].

وقال ﷺ: "لَا تَنْقَضِي قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ"

[رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم وصححه الألباني].

واستعاذ النبي ﷺ من الخمس وهي ضد الواجب فقال: "..وأعوذ بك من الخمس فيهن بست البطالة" [رواه أبوداود والنسائي وحسنه الألباني].

وحرم النبي ﷺ الغلول فقال: "كل غادر لواء يوم القيامة يعرف به" [متفق عليه].

ينهى ﷺ أن لا يقضي أحد فقال عليه الصلاة والسلام: "لا يقضي أحد بين اثنين وهو غضبان" [رواه أحمد وأبوداود وصححه الألباني].

المجْلِسَ الثَّامن والثَّلاثُونَ

غَزْوَةُ الفَتْحِ الأعْظَم

[فتح مكة]:

لَقَدْ وَرَّى فاقِّةَ يَّصُلْحِ الحديبيَةْ أَنَّ خُزَاعَةَ دَخَلَتْ فِي عَقْدِ الرَّسُولِ ﷺ وبَكْرٌ دَخَلَتْ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ إِنَّ رَجُلاً مِنْ خُزَاعَةَ سَمِعَ رَجُلاً مِنْ بَكْرٍ يُنْشِدُ شِعْرًا فِي هِجَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَضَرَبَهُ فَشَجَّهُ فَهَاجَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ، وَعَزَمَ بَنُو بَكْرٍ عَلَى مُحَارَبَةِ خُزَاعَةَ وَطَلَبُوا النَّجْدَةَ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَعَانُوهُمْ بِالسِّلاَحِ وَالدَّوَابِّ، وَقَاتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَانْحَازَتْ خُزَاعَةُ إِلَى الحَرَمِ لِاذَةً بِهِ، إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ تَحْتَرِمِ الحَرَمَ، وَقَاتَلَتْ خُزَاعَةُ بِهِ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَا يَزِيدُ عَلَى

الغرِ ْ ينَ .

وبَ ـدَ نقضتَ ـرْيقُ ٌ مُعاهدَ ةَ الصُّ ـلْحِ تالَّ ـي بينَهُ ـمْ وبَ ـنَ رسَولُ الله ﷺ إذْ أَعانَ ـتْ بَني بكْ ـرٍ خُزاعةَ أَحلافَ النبيِّ ﷺ. فلَمَّ ـا أَلحمَت ـْ خُزاعةُ النبيَّ ﷺ بهِ فُ بَهِ ـم ْ اقَ لأَ "مَ ـْ غَنَّكُمْ مِ ـا أَمَ ـْ غُسيفٌ نَفْ ـ ْ ".

ثُمَّ إنَّ قريشًا لما نَمَت لها فَعلَتْ حينَ لا يَنْفَعُ النَّمُ ، فأرسَلُوا أَبَا سُفيانَ إلى النبيِّ ﷺ ليجددَ عهدَ الحديبيةِ ويَزيدَ فيها، فأَبَى النبيُّ ﷺ أن يُعطيَهم شيئًا لم يجبْ، فاستَغاثَ بأبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ؛ أن يتوسَّطُوا بينَهُ وبينَ رسولِ الله ﷺ فأَجَارَهم جميعًا، فرجعَ أبو سُفيانَ إلى مكةَ يريدُ أن يحظَى بأيِّ فائقٍ أو مهمٍّ .

وأمامَ نقضِ قريشٍ للعهودِ والمواثيقِ مع المسلمينَ فقدْ

عَزَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى فَتْحِ مَكَّةَ وَتَأَهَّبَ كُلُّهَا.

ولَمَّا تَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِفَتْحِ مَكَّةَ أَخْفَى أَمْرَهُ، لأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبَاغِتَ كَثِيرًا مِنَ الْمُقِيمِينَ فِي عُمُقِ بِلَادِهِمْ.

وبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْعَرَبِ؛ لِمَنْ لَمْ يَغْزُهُ، ومَنْ يَنْزِلُ جُهَيْنَةَ وأَشْجَعَ وسُلَيْمٍ، حَتَّى بَلَغَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا الْفَتْحَ عَشَرَةَ آلَافِ رَجُلٍ، واسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُهْمٍ الْغِفَارِيَّ، وخَرَجَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ لِعَشْرٍ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وعَقَدَ الأَلْوِيَةَ والرَّايَاتِ بِيَدِهِ.

ولَمْ يَبْلُغْ قُرَيْشًا مَسِيرُهُ، فَبَعَثُوا أَبَا سُفْيَانَ يَتَحَسَّسُ الأَخْبَارَ، وقَالُوا: إِنْ لَقِيتَ مُحَمَّدًا، فَخُذْ لَنَا مِنْهُ أَمَانًا.

فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، فَلَمَّا رَأَوُا الْعَسْكَرَ فَزِعُوا فَسَمِعَ الْعَبَّاسُ صَوْتَ أَبِي سُفْيَانَ،

فقال: أبا حنظلة! قال: لبيك. قال: هذا رسول الله في عشرة آلاف، فأسلم أبو سفيان فجاره العباس، ودخل به وبصاحبيه على رسول الله فأسلما.

وأمر النبي ﷺ العباس أن يذهب بأبي سفيان وقفه في طريق مرور الجيش الإسلامي؛ ليرى بأم عينيه قوة الإسلام والمسلمين، وأشار العباس على النبي ﷺ بأن يجعل لأبي سفيان شيئًا يفتخر به، لأن الرجل يحب الفخر، فجعل النبي ﷺ: **"من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن"**.

ونهى رسول الله ﷺ عن القتال، وقال: ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، فلم يقاتل المسلمون مقاومة يرغم الحد من المد، فإن قيس بن سعد بن عبادة، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة

بْنُ أَبِي جَهْلٍ فِي جَمْعٍ مِنْ قُرَيْشٍ بِالْخَنْدَمَةِ، فَمَنَعُوهُمْ مِنَ الدُّخُولِ، وَشَهَرُوا السِّلَاحَ وَرَمَوا بِالنَّبْلِ، فَبَاحَ خَالِدٌ فِي أَصْحَابِهِ وَقَاتَلَهُمْ، فَقَتَلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا، ثُمَّ انْهَزَمُوا وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ وَخُبَيْبُ بْنُ خَالِدِ بْنِ رَبِيعَةَ.

وَصَوَّبَ النَّبِيُّ ﷺ قُبَّةٌ بِالْحَجُونِ، وَدَخَلَ مَكَّةَ عُنْوَةً، فَأَسْلَمَ أُنَاسٌ مِنْ طُلَقَاءِ عَيْنَ وَكَوَاهِينَ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ لَهُ، وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، فَجَعَلَ كُلَّمَا مَرَّ بِصَنَمٍ مِنْهَا يُشِيرُ إِلَيْهِ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ فَيَقَعُ الصَّنَمُ لِوَجْهِهِ، وَكَانَ أَعْظَمُهَا هُبَلُ وَكَانَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَقَامِ فَصَلَّى خَلْفَهُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ لِلنَّاسِ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟"

قَالوا نجوًا؛ أَخٌ كَرِيمٌ ،ولنْ أخٍ كريمٍ . قال: "اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ " فعفا عنهم بعد أن أمكنه الله منهم وهذا لك للذي العفو والصفح عن الجاني بعد القدرة عليهم والتمكن منهم ثُمَّ جلس رسولُ الله ﷺ على الصفا فبايع الناس على الإسلام والسمع والطاعة فيما استطاعوا ثُمَّ تتابع الناسُ .

وكان الفتحُ يوم الجمعة لسبع عشرة من رمضان وأقام بمكة تسع عشرة ليلةً ،ثُمَّ خرج إلى حنين وهو استعمل على مكة عتاب بن أسيد يصليهم، ومعاذ بن جبل يعلمهم السنة والفقه[1].

المجلس التاسع والثلاثون

---

(١) انظر: الوفا ص(٧١٨ – ٧٢٠)، هذا الحبيب يا محب ص(٢٥٤)، وصحيح السيرة ص(٤٠٧).

عَفْو النَّبيِّ ﷺ

لَقَدْ أَمر اللهُ نبيَّه ﷺ بالعَفْوِ عَنِ النَّاسِ فَقَالَ سُبحانَهُ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، فكانَ النبيُّ ﷺ يحبُّ العفوَ ويميلُ إلى الصَّفحِ ولا يقومُ لِلعقوبةِ إلَّا إذا تحتَّمَتْ وصارتْ لازمًا. ومواقفُ العفوِ في سيرةِ النبيِّ ﷺ كثيرةٌ معلومةٌ منها ما تقدَّمَ من عفوِهِ عن أهلِ مكَّةَ بعدَ الفتحِ الأعظمِ.

ومنها ما رواه أبو هريرةَ رضي الله عنه قالَ: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ

خلَّفوه بالبقيع ، فجاءت بخيل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له : ماذا عندك يا ثمامة ؟ فقال عندي يا محمد خير ؛ إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال سل تعط منه ما شئت . فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد قال له : ماذا عندك يا ثمامة ؟ قال : ما قلت لك ؛ إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال سل تعط منه ما شئت . فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد فقال له : ماذا عندك يا ثمامة ؟ قال : ما قلت لك ؛ إن تنعتنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال ، سل تعط منه ما شئت . فقال رسول الله ﷺ : أطلقوا ثمامة " فانطلق إلى نخل

رقيب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي. والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي. وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟

فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر.

فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ قال: لا، ولكن أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ. [متفق عليه].

فانظُرْ كيفَ كانَ العفوُ مُبْغِضًا للقلوبِ، ومُبدِّلاً للأحوالِ، وشارحًا للصدُّورِ، ومبدِّدًا للظُّلماتِ الكُفْرِ وضلالاتِ الشِّركِ.

ومِن أمثلةِ عفوِ النبيِّ ﷺ: عفوُه عنِ المرأةِ اليهوديَّةِ الَّتي وضعَتْ لهُ السمَّ في الشاةِ فأكلَ منها ﷺ فلُهِسَ منها، ثُمَّ قتلَها النبيُّ ﷺ بعدَ ذلكَ بشرِ بنِ البراءِ بنِ معرورٍ الَّذي أكلَ منها فأساغَها، فماتَ منَ السُّمِّ فقتلَها بشرٍ صاحبًا.

ومِن أمثلةِ عفوِ النبيِّ ﷺ: ما رواه جابرٌ رضي الله عنه أنَّه غزا معَ رسولِ اللهِ ﷺ نجدٍ، فلمَّا قفلَ[1] رسولُ اللهِ ﷺ قفلَ معَه، فأدْرَكَتْهم القائلةُ في وادٍ كثيرِ العضاهِ[2]، فنزلَ رسولُ اللهِ ﷺ،

---

(١) **قفل**: رجع.

(٢) **العضاه**: كل شجر عظيم الشوك.

وتفرقَّ المنَّ في العضاه، يستظلُّون بالشجر، وإنَّ رسولَ الله ﷺ تحت سمرة[1]، فعلَّق به سيفه.

قال جابر: فنمنا نومة، إذا رسولُ الله ﷺ يدعونا، فجئناه، إذا عنده أعرابيٌّ جالس، فقال رسولُ الله ﷺ: **إنَّ هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله فها هو جالس**، ثم لم يعاقب رسولَ الله ﷺ. [رواه البخاري].

المجلس الأربعون

(١) سمرة: شجرة.

نَبِيُّ الرَّحْمَة (٣)

رحمة النبي ﷺ بالأطفال:

لَقَدْ كَانَ النبيُّ ﷺ أَرْحَمَ النَّاسِ بالأطْفَالِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَبَّلَ رسولُ الله ﷺ الحسنَ بْنَ عَلِيٍّ، وعِنْدَهُ الأقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التميمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأقْرَعُ: إِنَّ لِي عشرةً مِنَ الوَلَدِ ما قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فنظرَ إليْهِ رسولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ" [متفق عليه].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأعْرَابِ على رَسُولِ الله ﷺ فَقَالُوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعم. قَالُوا: لكنَّا - والله - ما نُقَبِّل. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَوَ لَكَ أَنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ" [متفقٌ عليه].

ففِي هذَيْنِ الحديثَيْنِ بيَانُ عَظِيمِ شَفَقَةِ النبيِّ ﷺ

بالأطفال، وأن تقبيل الصبي من مظاهر الرحمة والشفقة في قوله ﷺ: «لن لا يرحم لا يرحم» دليل على أن الجزاء من جنس العمل، فمن حرم الأطفال من الرحمة والشفقة حرمه الله تعالى منها يوم القيامة.

ومن صور رحمة النبي ﷺ بالأطفال أنه ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه -أي في سياق الموت- فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان وقال: «إن العين تدمع، وإن القلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون" [رواه البخاري].

فأعطى النبي ﷺ ربه حق العبودية في الصبر والرضا والتسليم لأمر الله تعالى وأعطى ابنه حقه في الرحمة والشفقة وفيض الدمع والحزن على فراقه وهذا من أكمل صور

العبدية .

ولما مات ابن ابنته فاضت عيناه ﷺ فقال له سعد بن عبادة: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: «إنها رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» [متفق عليه].

ومن صور رحمة النبي ﷺ بالأطفال أنه ﷺ زار غلامًا يهوديًّا مريضًا كان يخدمه. فقال له: «قل لا إله إلا الله» فنظر الغلام إلى أبيه. فقال له أطع أبا القاسم. فقالها الغلام. فقال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» [رواه البخاري].

ومن ذلك أن للأنس بن مالك رضي الله عنه أخًا اسمه عمير، كان له نغر -وهو الطائر الصغير- يلعب به، فمات النغر، فحزن عليه الصبي، فذهب إليه نبي الرحمة ﷺ يزوره ليسري عنه

ويَأْزِحَهُ، فقَالَ لَه: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ" [متفق عليه].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيْهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِحْدَى صَلاَتَيِ العِشَاءِ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاَةِ، فَصَلَّى بَيْنَ رَاحَتَيْهِ صَلاَتَهُ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُوْدِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ الصَّلاَةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ! إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاَتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوْحَى إِلَيْكَ، قَالَ: "كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ" [رواه النسائي وصححه الألباني].

وعَنْ رَحْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِالأَطْفَالِ أَنَّهُ كَانَ يَزُوْرُ الأَنْصَارَ، وَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ وَيَمْسَحُ رُؤُوْسَهُمْ" [رواه النسائي وصححه

الألباني].

ومن رحمته ﷺ بالصغير أنَّه كان يُؤتَى بالصبيِّ فيبرّك عليهِ ويحنّكُهم. [رواه مسلم].

ومعنى يبرّكُ عليهِمْ: يمسحهم بيده الشريفة ويدعو لهمْ.

وكان ﷺ يصلي وهو حاملٌ أمامة بنت زينب فإذا سجد وضعها وإذا قام حمل لها.

صلوات ربي وسلامه على هذا النبي الكريم الرحيم.

المجلس الحادى والأربعون

نبيُّ الرَّحمةِ (٤)

رحمة النبي ﷺ بالخدم والعبيد:

لَقَدْ كَانَ الخدمُ والعبيدُ قبلَ الإسلامِ لا حقوقَ لهم ولا كرامةَ، فلما أكرمَ اللهُ الدنيا برسالةِ الإسلامِ، رفعَ النبيُّ ﷺ الظُّلمَ عن هؤلاءِ وقرَّرَ لهم حقوقَهم وتهدَّدَ مَن ظلمَهم أو اقتصَّ منهم أو لعنَهم بالعلبِ الأليمِ.

فعن المعرورِ بنِ سويدٍ قال: أتيتُ أبا ذرٍّ وعليه حُلَّةٌ، وعلى غلامِه مثلُها -أي: أنه يلبسُ مثلَ ما يلبسُ خادمَه ومملوكَه- قال: فسألتُه عن ذلك، فذكرَ أنه ساب رجلاً على عهدِ رسولِ الله ﷺ فعيَّرَه بأمِّه، فأتى الرجلُ النبيَّ ﷺ فذكرَ له ذلك، فقالَ النبيُّ ﷺ: **إنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهليَّةٌ، إخوانُكم خَوَلُكم جعلَهم اللهُ تحتَ أيديكم، فمَن كانَ أخوهُ تحتَ يدِه، فليُطعِمْه مما يأكلُ، وليُلبِسْه مما يلبسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يغلبُهم، فإن كلَّفتُموهم فأعينوهم عليه**" [متفق عليه].

فَانْظُرْ كَيْفَ جَعَلَ النبيُّ ﷺ الخادمَ بمنزلةِ الأخِ، ليقترَّ في قلبِ المسلمِ أنَّه إذا ظلمَ هذا الخادمَ أو لامَه أو آلمَه، فإنَّما هو بمنزلةِ مَن يفعلُ ذلك مع أخيه، ثمَّ أمرَ النبيُّ ﷺ بالمبالغةِ في الإحسانِ إليهم والرِّفقِ بهم، وإطعامِهم وإلباسِهم من جنسِ ما يأكلُ ويلبسُ المخدومُ، وقد كان أبو ذرٍّ رضي الله عنه يلبسُ هذه الحلةَ من جنسِ ما يلبسُ وذلك نهيُ النبيِّ ﷺ في هذا الحديثِ عن تكليفِ الخادمِ بما لا يُطيقُ من الأعمالِ، وهذا يتضمَّنُ التخفيفَ عنهم وإعطاءَهم ما يفكُّهم من سلكِ الرِّقِّ.

-وعن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ قال: كنتُ أضربُ غلامًا لي بالسَّوطِ، فسمعتُ من خلفي صوتًا: **اعلمْ أبا مسعودٍ!** فلم أفهمِ الصَّوتَ من الغضبِ، فلمَّا دنا مني، فإذا هو

إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: "اعلم أبا مسعود!" قال: فألقيت السوط من يدي قال: "اعلم أبا مسعود أن الله تبارك وتعالى أقدر عليك منك على هذا الغلام" فلقت أضرب بعده مملوكًا بعده أبدًا.

وفي رواية قلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله. فقال رسول الله ﷺ: "أما لو لم تفعل لفحتك النار -أو لمستك النار-" [رواه مسلم].

وقال النبي ﷺ: "من لطم مملوكًا لطمة أو ضربه، فكفارته أن يعتقه" [رواه أبو داود وصححه الألباني].

فالنبي ﷺ هو الذي أقذا الضعفاء، وأعتق العبيد، وأضف الخلق، ووقف في صف المنكرة لقوبهم فجر

كَسر ْ هَم ْ، وعلَّمْنَ فَأْ تهَم ْ ولقُوبهَم ْ .

وعَن ْ مُعاوية َبْن سويُد بْن مُقْ ارِن َ لطقْ ُ ولَ ً لَنا، فَدعا بِأْ َ ودَعاني. فَقَالَ صَن َّ م ْنها فَمَغَّشر َ نبَي مُقْ ن، كُلَّ سبعة ً لِعَ َ هَ ْ النبي ِّ ﷺ ولَيْس لَنَا إِلَّ خادِ مٌ، فَلطَمها جارٌ م ْ نَّا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَتِعْ قُوهَا" قَالُوا لَيْ َ لَنَا خادِ م ْيرغ ْ ها. قال: "فَلْخَ ْ م ْهُ ْ حَتَّى يَ ْ تَغْنُوا، فَإِذَا ْ تَغْوَ ْ ا فَيُتْعِ قُوهَا" [رواه مسلم].

هذا هُو محمَّدٌ ﷺ ونَهَ ي وماقَ نهُ مَعَ الخدَم واليِ ، فَأَيْ ولئِ كَ الَّذين يدَّعون تَحْرَيْر الإِنْسَان م ْ نْهَ المرقَ ؟

وانْظُ إِلى نَموذَج عَمَلي فِيِّ معُاملَة النبي ِّ ﷺ للخادِ م، فَقَدْ ارقَ مَلَزَ ُ بْن ُالِكٍ رضي الله عنه خَدَمَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَ ْ سَ نينَ . والله

لما قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلت، ولا لشيء لم أفعله لا فعلت كذا؟" [متفق عليه].

وفي لفظ: "لا عاب علي شيئًا قط" [رواه مسلم].

وكان رسول الله ﷺ يقول للخادم: "أبك حاجة؟" [رواه أحمد وصححه الألباني].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما تنزع يدها من يدها، حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها" [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

المجْلِسَ الثَّانى والأَرْبَعونَ

جُودُ النَّبيِّ ﷺ

أَمَّا الجُودُ والكَرَمُ والسَّخاءُ والسَّماحَةُ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يُوازَى في هذه الأخلاق الكريمة.

وكَانَ جُودُه ﷺ مِثْلاً كلَّ مُتَأَمِّلٍ الجودُ الَّتي أَلِفَها الجودُ بالفَضْلِ سبيل الله تَعَالى قيل:

يجودُ بالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الجَبِيلُ بِها
والجُودُ بالنَّفْسِ أَقْصَى غايَةِ الجُودِ

فكَانَ ﷺ يَجُودُ بنفْسِه في مجاهَدَةِ أَعْدَاءِ الله تَعَالَى، فكَانَ أَرْقَبَ النَّاسِ مِنَ العدُوِّ المعْرَكَ، وكان الشُّجَاعُ الَّذي يحاذِيه أَوْقَفَ بُجوارِه.

وكان ﷺ يعود بعض أصحابه مما علمه الله تبارك وتعالى، ويحرص على تعليمهم الخير، ويرفق بهم في التعليم، ويقول: **"إن الله يبغض منا متنطعا، ومن يبغض معلما"** [رواه مسلم].

وقال: **"إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم"** [رواه أحمد وأبوداود وحسنه الألباني].

وكان إذا سأله السائل عن حكم ربما وافى الإجابة، وهذا من الجود بالعلم، فقد سأله بعض هم عن طهارة ماء البحر فقال عليه الصلاة والسلام: **"هو الطهور ماؤه الحل ميتته"** [رواه أحمد وأصحاب السنن].

وأما جوده ﷺ بوقته وراحته في سبيل إغاثة حوائج

اللَّس والَسـ َّعْيِفي مَ عطاهم ْ ،فهُوَ ﷺأَجْوَدُ اللَّسرفي هذَا اللبَ ،ويفِيكْفي لهكَ أَنَّ الأمةَ نْ أَهْلِالمدينة اكَتَ ْ لَتْخُذُ بيِ ه ﷺ فتلْطَقَ بِهُ حيَثْ ُشاءَتمْ نْ لَايلَةَ في حاَجتِ ها. [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

ويَلَ ُّلعَ ظَمِجدُ النبي ِّ ﷺما رَواهُ جاَبرُ بْنُ لعَبْ الله ﷺاقَ : **ما َسئِلَ رَسوُلُ الله ﷺشيَئْا قَطُّ فقَالَ لا** ". [ُّفقَ عليْ].

وعَنْ أَنسَ ﷺاقَ فما َسئِلَ رَسوُلُ الله ﷺلعَ الإِ ْسلاَ م شيَئْاً إِلا ّ أَعطاهُ اقَ : فجَاءَهُ رَجلٌ ،فأعطَاهُ نغِيَنبَ ْ يخبَلَ ، فرَجَعَ إِلى قوَ ْمه فقَالَ :يا قوَ ْمأَلَسْلِمُ وا فإِنَّ نمَّحُمَدًّ لعطِي عطَاءً لا َ يخْشَى الفاَقةَ .[رَواهُ سُلْمِ].

ما قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.

وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ثَلَاثَمِائَةٍ مِنَ الغَنَمِ بَعْدَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ. فَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ" [رواه مسلم].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ [متفق عليه].

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ

المُقَدَّمَة من نبْخُنَ ملتقت به الأعراب يسألونه حتَّى اضطرُّوه إلى سَمُرة فخطفت رداءه، فوقف رسولُ الله ﷺ فقال: "يا أيُّها الناس، فوالله لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً، لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جبانًا" [رواه البخاري].

وكان الجود خُلُقَ نبيِّنا ﷺ حتَّى لقي البعثة، إذ نَّه لما نزل عليه الملك جبريل، وجاء إلى حيث يجتمع ثقيف، فقال له: لا تبرح حتى يخرج إليك، اللهم إنك تعلم السر وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق.

وأتى أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ يجرُّ شملة غليظة الحاشية، [رواه الترمذي وصححه الألباني].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سأل ناس من الأنصار رسول الله ﷺ فأعطاهم ما سألوه، ثم سألوه فأعطاهم ما سألوه، ثم سألوه فأعطاهم ما سألوه، حتى إذا نفد ما عنده قال: «ما يكون عندي فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء هو خير له وأوسع من الصبر» [واه أصحاب السنن].

الموضوع

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
١- من حقوق المصطفى ﷺ (١)	٦
٢- من حقوق المصطفى ﷺ (٢)	١٢
٣- هدي النبي ﷺ في رمضان (١)	١٨
٤- هدي النبي ﷺ في رمضان (٢)	٢٤
٥- هدي النبي ﷺ في رمضان (٣)	٣٠
٦- في ذكر النسب الشريف وطهارة أصله ﷺ	٣٦
٧- صدقه ﷺ وأمانته	٤١
٨- في الميثاق وبشرى الأنبياء بمحمد ﷺ	٤٧
٩- نبي الرحمة (١)	٥٣
١٠- نبي الرحمة (٢)	٥٩
١١- من فضائل النبي ﷺ	٦٥
١٢- ولادته، رضاعه، صيانة الله له	٧١
١٣- زواجه ﷺ	٧٧
١٤- النبي والمرأة (١)	٨٣
١٥- النبي والمرأة (٢)	٨٩

١٦- مبعثه ﷺ ودعوته قومه	٩٥
١٧- صبره ﷺ على الأذى	١٠١
١٨- في حفظ الله نبيه ﷺ	١٠٦
١٩- بَّة النبي ﷺ	١١٢
٢٠- أعظم علامات النبوة	١١٨
٢١- بادة النبي ﷺ	١٢٤
٢٢- بدء انتشار الإسلام	١٣٠
٢٣- الهجرة إلى المدينة	١٣٦
٢٤- معيشة النبي ﷺ	١٤٢
٢٥- أسس بناء الدولة	١٤٨
٢٦- شجاعة النبي ﷺ	١٥٤
٢٧- غزوة بدر الكبرى	١٦٠
٢٨- غزوة أحد	١٦٦
٢٩- الدروس المستفادة من وقعة أحد	١٧٢
٣٠- رفق النبي ﷺ بأمته(١)	١٧٧
٣١- فق النبي ﷺ بأمته (٢)	١٨٣
٣٢- غزوة الأحزاب	١٨٨
٣٣- دل النبي ﷺ	١٩٤
٣٤- كائد اليهود ومواقف النبي ﷺ منهم	١٩٩

٣٥- شرُع القتال؟ ٢٠٤
٣٦- صلح الحديبية ٢١٠
٣٧- وفاء النبي ﷺ ٢١٦
٣٨- غزوة الفتح الأعظم ٢٢٢
٣٩- عفو النبي ﷺ ٢٢٨
٤٠- نبي الرحمة ﷺ(٣) ٢٣٣
٤١- نبي الرحمة (٤) ٢٣٨
٤٢- جود النبي ﷺ ٢٤٤